عدد من المؤلفين

الأدب البلغاري المعاصر

شيء من التاريخ

ونصوص شعرية

ترجمة

ميخائيل عيد

منشورات وزارة الثقافة

في الجمهورية العربية السورية

دمشق ١٩٩٩

الأدب البلغاري المعاصر: شيء من التاريخ ونصوص شعرية/ عدد من المؤلفين؛ ترجمة ميخائيل عيد. - دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٩. - ٢٠٨ص؛ ٢٤سم. - (دراسات أدبية؛ ٢٥).

١-٨٩١ر٨ ع ي د أ ٢- العنوان ٣- عيد ٤- السلسلة

مكتبة الأسد

الايداع القانوني: ع - ٥٦٢/ ٤/ ١٩٩٩

دراسات أدبية

« ٢٥ »

محطات
على طريق تطور الأدب البلغاري

ميخائيل عيد

الذين خبروا الأسفار الطويلة يعرفون قيمة المحطات وفائدتها. . . والمحطات ليست الدرب لكنها جزء منه، وكثيراً ماتكون بداية لدرب جديد، أو قد يتشعب عندها الدرب فيصير دروباً تقود المسافرين الى عوالم مختلفة. . . والمحطات ليست تلك العوالم الجديدة، وقد تكون بعيدة عنها بعد التاريخ عن الأدب، ومتصلة بها اتصال التاريخ بالأدب، لكنها بداية الطريق إليها، والطريق نفسها ليست العالم نفسه لكنها توصل إليه. .

والكلام على أدب أمة من الأمم ليس بالأمر السهل ولا بالكثير الفائدة، ذلك لأن التسميات والصفات والأحكام المعممة قد تشير إلى بعض سمات الأدب لكنها لن تكون الأدب، ولن تطلعنا على جوهره، وهذا بدهي، فحتى النص المفرد لايمكن تعريفه إلا بقراءته كاملاً، بلغته الأم، فكيف يمكن التعريف بأدب شعب يمتد تاريخ دولته على أكثر من ثلاثة عشر قرناً، وقد برز بين أبنائه عدد كبير من الأدباء والشعراء والنقدة، وكتاب المسرحية؟

ومع ذلك يبقى صحيحاً القول: أن نعرف القليل خير من أن لانعرف شيئاً؟

وعليَّ أن أشير إلى مسألة أخرى: لست مؤرخاً، ولست ناقداً، أنا قارىء ومترجم، فكيف سأحدثكم عن تاريخ الأدب الذي ترجمت بعضاً من أعمال شعرائه وكتابه؟

المراجع التي بين يدي كثيرة، بل هي أكثر مما يحتاج إليه كاتب دراسة ضافية حول ذلك الأدب. . فهل سيكون دوري هو الانتقاء والجمع ثم ترجمة ماقاله مؤرخو الأدب البلغاري ودارسوه؟

في تاريخ الأدب البلغاري الكثير من الاسهاب، فكل دارس أو مؤرخ يتناول موضوعه العام من زاوية نظره الخاصة، وفي المصادر التي بين يديَّ الكثير من أحكام القيمة، بل فيها الكثير من الأحكام المتفارقة والمتفاوتة من حيث أهميتها أيضاً، وهذه صعوبة أخرى قد لاتكون الكبرى بين أخواتها، فهل في مستطاعي الخروج بالكثير من الفائدة من الغوص في مثل هذا الخضم؟

لن أمضي بعيداً مع التفاصيل، ولن أكتفي بالعموميات التي قد تقول كل شيء تعميماً لكنها لاتحدد شيئاً دقيقاً وكبير النفع.

سوف اعتمد، على المعطيات النقدية والوقائع التاريخية المتاحة لي إلى الحد الضروري، طبعاً، لكنني سأبذل مافي وسعي كي لاأكون ناقلاً وحسب.

في البدء كان. . .

هل يستطيع باحث ما أنْ يحدد بداية تاريخ أدب ما؟

البدايات في آداب الشعوب إما مجهولة تماماً أو غامضة جداً. . .

يقال: في البدء كانت الكلمة. . وقد يكون الصمت النهاية. . . لكن متى كان البدء الذي كانته الكلمة؟ وهل ثمة بداية لم تسبقها بداية أخرى. . وهكذا إلى مالانهاية؟!

لاأحد يعرف، فلم يزعم أحد أنه يعرف . . . وعلى الأقل أنا لاأعرف.

أما في مايخص موضوعنا فإن المؤرخين مجمعون، عموماً، على أن احدى المحطات المعروفة جيداً على درب تطور الأدب البلغاري هي وضع الأبجدية السلافية على يدي الأخوين «كيريل وميتودي (كيريل ٨٢٦- ٨٦٩) و (ميتودي ٨١٥- ٨٨٥) إذ كانت البلغارية لاأبجدية لها. . .

كانت الكنيسة الألمانية اللاتينية التي تخدم مصالح سياسيي بلادها تسعى الى استمالة السلاف الى جانبها في تنافسها مع الامبراطورية البيزنطية، وكانت لاتسمح بإقامة الشعائر الدينية إلا بإحدى اللغات التالية: العبرية، أو اليونانية، أو اللاتينية. (قاموس الثقافة البلغارية، الجزء الثاني، ص ٢٠٦).

أرسل الامبراطور البيزنطي الأخوين «كيريل وميتودي» وهما رجلا دين من أصل سلافي، على اطلاع واسع على ثقافة زمنهما، إلى القبائل السلافية لتعليمها وتدريسها المواد الدينية بلغتها الأم كي تبقى موالية لبيزنطة، فأنجز الأخوان المهمة التي كلفا بها في ظروف شديدة القسوة من الاضطهاد والملاحقة والسجن. . وكان أخطر سؤال وجهاه إلى خصومهما هو: هل ترون أن الله يجهل اللغة البلغارية؟ وحين جاء الجواب بالنفي تبعه السؤال التالي: لماذا تريدون أن يصلي شعبنا بلغة لايفهمها؟ وولدت الأبجدية السلافية ورأت فيها السلطة السياسية حافزاً على تنشيط الحياة الثقافية، ووسيلة لتوثيق العرى الروحية- النفسية بين البلغار والسلافيين، وحماية ميراثهم. . .

في القرن العاشر انتشرت الأبجدية السلافية في صربيا، وروسيا، واوكرانيا، وروسيا البيضاء حتى منغوليا.

اقتصرت حياة الشعب البلغاري الروحية، طوال قرون، على الثقافة الدينية، والأغاني الشعبية والحكايات والأساطير، وبعض الأعمال الأخرى التي لاقيمة أدبية كبيرة لها. . . أما الحرف الفنية فقد ازدهرت وتطورت إلى حد بعيد نسبياً. . وكانت التناقضات الإجتماعية تنعكس مرتدية حللاً دينية. وكان أبرز الكتّاب من

رجال الدين. ومن أشهرهم البطريرك أفتيمي ترنوفسكي، وثيودوس تارنوفسكي، وغريغوري سامبلاك، وقسطنطين كونتيج، وستيفان لازارافيج...

أما الأدب المعارض فكان رجاله عرضة للملاحقات... وقد ضاع ولم يبق إلا مايشير إليه في الكتابات التي اتهمت أصحابه بالزندقة...

بدأ عهد النهضة البلغارية مع ظهور الكاهن باييسي خلندارسكي (١٧٢٢-١٧٧٣) الذي اشتهر بكتابه (التاريخ السلافي) وكان أول كتاب تجسدت فيه الدعوة الوطنية... ثم تلاه ماكتبه سوفروني فراتشانسكي (١٧٣٩- ١٨١٣) مكملاً عمل باييسي.

خطوات... بعد التحرر

في ظل الحكم العثماني ركدت الحياة الثقافية ركوداً كاد يودي بها إلى الموت، ولايزال الأدباء والمؤرخون البلغار يتحدثون عن فظائع تلك الأزمنة... لكن اللغة البلغارية تفاعلت مع اللغة التركية ودخلت إليها كلمات كثيرة جداً من العربية والتركية.

في عام ١٨٧٨ تحررت بلغاريا من الحكم العثماني... وبدأت مرحلة جديدة من مراحل تطور المجتمع البلغاري وزاد تأثير اللغات الفرنسية والانكليزية والروسية على اللغة البلغارية، واغتنت بالكثير من المصطلحات الأدبية والعلمية الحديثة، وخرجت من التداول، أو أهملت كلمات قديمة كثيرة... ثم جرى التقارب الألماني البلغاري... وكان لذلك انعكاسه على اللغة البلغارية أيضاً.

أما أدبياً فكان أحد الكواكب التي أضاءت الدرب إلى تحررها شاعرها وشهيد نضالها السياسي خريستو بوتيف (١٨٤٨- ١٨٧٦).

لم يكن خريستو بوتيف أول شعراء بلغاريا لكنه أحد أكثر شعرائها شهرة، وقد يكون أحبهم إلى قلوب أبناء الشعب البلغاري، وأظن أن لاأحد من أبناء ذلك الشعب البالغين لايحفظ قصيدة أو أكثر من قصائد هذا الشاعر الذي تحولت قصائده

إلى أغنيات يرددها الناس في احتفالاتهم الوطنية والإجتماعية، وفي أعراسهم ونزهاتهم. . . وقد طبعت قصائده مراراً وتكراراً طبعات مختلفة من حيث الأناقة ومن حيث البساطة، وكانت طبعاتها الشعبية تباع بأسعار زهيدة جداً، وقد ساعد ذلك، إضافة إلى أصالتها وعذوبتها وصدقها، على سعة انتشارها ودخولها إلى كل بيت.

استشهد بوتيف في معركة خاضها ضد العثمانيين قبل أن تتحرر بلاده بعامين فسقى دمه تربة وطنه وروى شعره الوطني العذب نفوس أبناء بلاده، واعتُبر نضاله وشعره محطة كبرى على طريق تطور بلاده السياسي والإجتماعي والثقافي.

لم تطل حياة هذا الشاعر بل قتل في ريعان الشباب لكن الجدل بين النقاد حول مكانته الأدبية وعمق نظراته الاجتماعية - السياسية والجمالية استمر طويلاً وكثر فيه الأخذ والرد. وفي حين كان الدارسون الاكاديميون والنقاد من شتى المدارس يحللون هذه القصيدة أو تلك من قصائده ويختلفون بشأن خلفياتها الاجتماعية والجمالية، كان الناس، من شتى الفئات والبيئات يغنون قصائده ويرقصون على ايقاعاتها الجميلة. . . ويخيل لي أنهم سيرددونها زمناً طويلاً لأن الشاعر قد صاغها من دفء عواطفه الصادقة بكلمات صادقة وعفوية، وهاتان السمتان من أبرز سمات الأدب الذي لايشيخ. لقد أودع الشاعر شبابه الغض وتوق روحه في اغنياته فضمن لها الجمال الذي يبقى في أوج تألقه.

وإذا كان خريستو بوتيف شهاباً اضاء سماء الأدب في بلاده وألهب المشاعر الوطنية باستشهاده ثم انطفأ مخلفاً للأجيال مشعل قصائده ومقالاته ومثله العليا الذي لاينطفىء، فإن ايڤان ڤازوڤ (١٨٥٠- ١٩٢١) قد أتيح له أن يكون شجرة سنديان عملاقة ضربت جذورها عميقاً في تربة وطنها وحملت الخضرة والرسوخ والظل الوارف إلى الأدب البلغاري في شتى أجناسه من شعر، ورواية، ومسرحية ومقالة، حتى صار الناس يتكلمون على اللغة البلغارية قبل ڤازوڤ وبعده ويذهب

بعض الدارسين الى مقارنة أثره في لغة قومه من هذه الناحية بأثر شكسبير في اللغة الانكليزية .

يقول ايفريم كارانفيلوف : «ليس في وسعنا أن نتصور كيف كان يمكن أن يكون الأدب البلغاري لولا ڤازوڤ . لقد انسبك به تمام الانسباك . . . صار ابداعه ذلك الجو الروحي الذي يحيط بنا» . (ايفريم كارانفيلوف «بلغاريون» ص(٧١) والفقرة المقتبسة من ترجمتي) ثم يردف على الصفحة ذاتها فيقول : «صار ڤازوڤ وبلغاريا واحداً بجسدين اثنين في الواقع» .

وإذا كان بوتيف قد شارك بسيفه وقلمه في أحداث زمنه فإن ايڤان ڤازوڤ قد اكتفى بدور المراقب المسجل لأحداث زمنه ومع ذلك «ظل شابا» ومعاصراً لكل العصور» وقد «غنى ببساطة وعفوية» وصار يفخر بأنه «شاعر قومي» (بلغاريون ص٧٢) .

هبت على هذه السنديانة عواصف شتى ، واتهم ڤازوڤ بالشيخوخة والقدم «غير مودرن» ، وبالابتعاد عن أفكار القرن الكبرى . ومرت من تحت سنديانته مدارس أدبية شتى ، ولم يبق منها أثر يذكر ، وبقيت السنديانة . إن «الأقل حداثة بين شعرائنا ظل حديثاً إلى الأبد» . (بلغاريون . ص٧٤) .

وقد احتدم الجدل طويلاً حول السؤال : هل ماأبدعه بوتيف وڤازوڤ هو أدب ثوري بالمعنى المعاصر للكلمة؟

يرى أكثر الدارسين أن ماأبدعه هذان الأديبان هو أدب حقيقي أولاً ، وهو من ثم أدب مقاوم ثانياً ، فهو ، بالتالي ، أدب ثوري . . . ويخالفهم آخرون بشأن «فهو أدب ثوري» فهؤلاء ، لايرون فيه أدباً ثورياً خالصاً ، أي أنه يفتقر إلى خلفية راسخة من النظرية العلمية الثورية التي تعصمه من بعض مالحق به من «شوائب» لاتتطابق تماماً مع النظريات الثورية الحديثة .

وورد آخرون قائلين إن «تلك الشوائب» هي دليل على أصالة ذلك الأدب الحي الثائر الذي عكس زمنه وواقع شعبه، بماله وماعليه، عكساً حياً وواقعياً من غير أن يصبغه من الخارج بأي صباغ ليس من طبيعته. . . وكفاه شفيعاً حب الوطن العميق المتجسد فيه.

وقد نوقشت طويلاً المسألة التالية: ماالذي جعل قصائد بوتيف تعيش في ذاكرة الشعب. وما الذي يجعل كل الأجيال ترددها وهي قد كتبت قبل وفاته عام ١٨٧٦؟

يرى ايفريم كارانفيلوف أن «السبب هو أصالتها وصدقها، أي شعبيتها» فالشعب، دائماً، أصيل وصادق، وهو يعشق الصدق والأصالة ويصونهما لأنهما من روحه. فكيف ينسى الشعب ابناءه الذي عاشوا أحراراً وماتوا شجعاناً؟ أبناؤه الذين منحوه القدوة بالقول والعمل واورثوه أجمل الأغنيات وأنبل الأفكار. . .

ترجم الدكتور أحمد سليمان الأحمد قصائد بوتيف إلى اللغة العربية وأعيد طبعها مراراً. وكانت قد ترجمت إلى لغات كثيرة. . . وترجم الكثير من أعمال ايڤان ڤازوڤ إلى لغات كثيرة ومنها العربية، فقد ترجم المرحوم اليان ديراني عن الفرنسية روايته الشهيرة تحت النير. . . وطبعت مراراً، وترجم د. أحمد سليمان الأحمد مختارات من شعره، وترجم حسين راجي مختارات أخرى، وترجمت مسرحيتيه «ثوار في المنفى» و «مطاردو الوظيفة»، وقصتيه الشهيرتين «بلغارية» و «الجد يرتسو يرى. . » أما مقالاته التي رسم بها خريطة أدبية لمناطق بلاده بلغة ساحرة فلم تترجم إلى العربية، حتى الآن، على حد علمي.

إن أعماله مازالت موضوع بحث. . . ومازالت مسرحياته تعرض على مسارح كثيرة. . . فأعجوبة صمود أدب ڤازوڤ وسط صخب التيارات والمدارس الأدبية طوال مايزيد على القرن مسألة تستحق التمحيص. . . فالأصالة الحقة تحمي الأديب من عاديات الزمن.

حين استقلت بلغاريا سياسياً تزاحمت دول أوربا على «ملء الفراغ» فيها . . . وانفتحت بلغاريا على الغرب ومرت عليها رياح مختلفة . . وما يهمنا هنا هو تزاحم التيارات الأدبية على ساحتها الثقافية .

فإذا كان الاقتصاد الألماني قد احتل مواقع قوية في بلغاريا فإن التأثير الأدبي على المثقفين البلغار، عموماً، قد أتى من فرنسا وروسيا أساساً . ازدهرت الرومانسية والرمزية وبرز شعراء كبار على المستوى الوطني البلغاري، يجمع دارسو الأدب ومؤرخوه على أن في طليعتهم شاعرين كبيرين هما «بنتشو سلافيكوف» (١٨٦٦- ١٩١٢) و «بيوياڤروڤ» (١٨٧٨- ١٩١٤) .

كان هذان الشاعران صوتين عذبين في جوقة الشعر في عصر النهضة البلغارية المتأخر، وقد شابه الألم الذي عاناه بين مصيرهما، على الرغم من تفرد كل منهما شعرياً . والأمر الملحوظ، عموماً، هو تأثر الأدب البلغاري، شعراً ونثراً، بالحكايات والأغاني الشعبية، إذ لايخلو أدب أديب أو شعر شاعر من أكثر من ملمح من ملامح الحكايات والأغاني، وقد امتد هذا التأثر إلى وقتنا الحاضر، مروراً بيوردان يوفكوف، وايلين بيلين، وأنجل كاراليتشف وصولاً إلى الكاتب المرموق نيقولاي خايتوف، بل يمكن القول إن الأدب البلغاري من بين أكثر الآداب في العالم استفادة من حكمه الأدب الشعبي وخياله وأصالته، حتى نسكه وزهده وتصوفه . . ولقد تأثر الشاعران المجيدان سلاڤيكوف وياڤروڤ بأغاني الشعب وحكاياته، ونظما قصائد مفعمة بروح الفولكلور وبإيقاعاته وألوانه الزاهية، وكان اطلاعهما على الثقافة العالمية واسعاً .

ترعرع سلافيكوف في أسرة مثقفين، وقد اعتلت صحته منذ صباه الباكر فكرس حياته للشعر وأخلص له، وكان يرى أن على الشاعر أن يعرف الأشياء وأن يعرف نفسه، أما النظريات «فتضع قالباً فوق الإنسان والطبيعة والحياة وتفقرها وتشوهها، وهو يريد لها أن تبرز بكامل سماتها ومظاهرها، وفي تبدلها غير المتناهي» (قاموس الثقافة البلغارية- الجزء الثالث ص٢٨٢) وتتلخص نظرته إلى

الابداع الشعري في أن من يستحق تسمية فنان هو «ذلك الكاتب الذي يملك «وعياً ذاتياً»، «الماهر» الذي يسعى دائماً إلى المزيد من الكمال التعبيري، لا ذلك الشاعر العفوي، أيةً كانت طبيعة موهبته» (المصدر السابق، ص٢٨٤).

ليس بين الشعراء البلغار شاعر اعتنى بشعره ومحصه وأخلص له وسعى إلى كماله ووهبه حياته كما فعل سلاڤيكوف. وكان دفاعه عن استقلال المبدع وحريته المطلقة من السمات التي وسمت الرومانسيين الجسورين عموماً.

وإذا كان سلاڤيكوف تأثر الى حد بعيد بغوتيه، وهاينه، ونيتشه الألمانيين، وبشعراء فرنسا والغرب عموماً، فإن النجم الآخر في سماء تلك الفترة من فترات تطور الأدب البلغاري «بيوياڤروف» قد تأثر بمالارميه وبودلير إلى حد ما، وتأثر جداً بليرمنتوف وبوشكين الروسيين. ترجمت أعمال سلاڤيكوف إلى لغات كثيرة، وترجم الأستاذ حسين راجي ملحمته «الأغنية الدموية» إلى اللغة العربية. . .

ولد ياڤروف في بيت ميسور الحال، وهو يرى أن جده عربي (راجع مقالي في جريدة البعث بتاريخ ١٤/٨/ ١٩٨٤) وكانت أمه عذبة الأداء، تجيد الغناء وتحفظ الكثير من الأغنيات والكثير من الحكايات، وكانت رقيقة الروح لطيفة، فتأثر بها الشاعر بالغ التأثر. . . وكانت تحضه على العلم في حين كان والده الصارم لايكف عن ترداد جملة بعينها «كفى دراسة». وكان لا يعجبه انطواء ولده بل كان يعلن أن لاخير يُرجى منه. وقد حدد له مهنته التي ظل يجر قيودها سنوات عديدة.

يجمع الذين درسوا شعر ياڤروف على أنه «سيد القوافي» وأن «أحداً لم يمتلك سر الكلمة البلغارية، بعد ڤازوف، مثلما امتلكه ياڤروف». لقد فهم حركة التجديد الشعري لا باعتبارها اندفاعاً أرعن أو «موضة» بل كتطور يستجيب لروح العصر ولا يقفز في فراغ التنظيرات التي لاسند لها غير المعادلات اللفظية. لقد عاش حياة فيها الكثير من المرارة وكان يردد «هذه الوظيفة تقتلني». وكان شعاره: «أنا لاأعيش بل احترق» وجاءت الأزمات السياسية (فشل انتفاضة مكدونيا التي

أسهم فيها) والأزمات العاطفية (موت حبيبته الأولى، وانتحار الثانية)لتعمق مأساته وتصيبه بالسوداوية. وقد عبر عن تلك الحياة بأعذب الكلمات وأشدها تأثيراً، فبقيت ميراثاً غنياً للشعر البلغاري، وظل شعر ياڤروف يتردد على شفاه الناس ويُغني عالمهم الروحي وينمي مشاعرهم الجمالية.

كتب ياڤروف السيرة الذاتية، اضافة إلى الشعر، وكتب مسرحيتين تفاوت تقويم الدارسين لهما، لكنهم أجمعوا على أنه رائد المسرحيين البلغار.

جهدت كي أعطي ماترجمته له من قصائد النبرة الايقاعيةكما جاءت في الأصل، فوفقت بعض التوفيق حيناً واضطرب الأمر بعض الاضطراب حيناً آخر. . أما سلاڤيكوف فلم أجد مدخلاً يرضيني إلى ترجمة شيء هام من قصائده. . لقد حاولت ذلك مراراً. . . وسأحاول ذلك أيضاً وأيضاً وآمل أن أوفق إلى ذلك.

علمان مرموقان

ويدخل حلبة الأدب البلغاري فارسان عظيمان أتياه من الريف، وحملا إليه روح الريف لامظهره الخارجي وحده. . . إنهما ايلين بيلين ويوردان يوفكوف. . . لم يكتفيا بوصف الفلاح وحياته وشقائه من الخارج كما فعل سواهما، بل عرضا، بصدق وبساطة وعمق، عالمه الداخلي، صورّا لنا دهاءه وطيبته، ونبله ووضاعته، ولم يستخدما الوصف إلا لرسم سمات أو لتعميق سمات نفسية، فكان أشخاص قصصهما من لحم ودم ومشاعر. لقد صورا النماذج الحية من الداخل بمهارة مدهشة فجاء أدبهما صورة لحياة. . . ولم يعتمدا الوثائق وحدها كما اعتمدها أناس قبلهما وبعدهما فكان أدب هؤلاء نسخة أدبية عن الوثيقة.

لقد صور ايلين بيلين (الاسم المستعار لديمتر ايڤانوف ستويانوف ١٨٧٧-١٩٤٩) الريف وحياة أهله بواقعية قل نظيرها، وقد الهمت قصصه أحد النحاتين البلغار تمثالاً طريفاً أسماه «أبطال ايلين» أو فرسان الريف الثلاثة في قصصة، ونرى في التمثال كاهناً، ومختاراً، ومعلماً. الأول والثاني بدينان جداً، والثالث ناحل جداً، حتى لنخاله طيف رجل وليس رجلاً.

لكن ايلين بيلين لم ير في هؤلاء الفرسان الثلاثة أهل الريف كلهم، بل صور لنا هؤلاء من خلال علاقتهم بأهل الريف، أو من خلال علاقة أهل الريف بهم، وعلاقتهم بالريف من حيث هومجتمع له خصوصيته. وهو لم ينظر إلى العلاقات الريفية في حال سكونها بل صور لنا في أعمال كثيرة كل مايمور ويضطرب في الريف من خلجات في صدور الناس البسطاء أو الماكرين وصولاً إلى تسرب العلاقات الرأسمالية إلى القرية، وزعزعة سكينتها، فها نحن أولاء نرى اقتتال الأخوة على الميراث أو على نحو أدق نرى طمع الأخ بما لأخيه ومحاولة قتله في قصته الطويلة «الأرض» (نشرت «الأرض» في العدد الأول من مجلة «الآداب الأجنبية» في دمشق عام ١٩٧٤، ترجمة ميخائيل عيد) ونرى تفسخ العلاقات الأسرية في روايته «آل غيراك» (صدرت عن مطابع ألف -باء في دمشق مع خمس عشرة قصة لايلين بيلين في كتاب حمل اسم «آل غرياك» عام ١٩٧٤ - ترجمة ميخائيل عيد) فنبكي مع الجد تلك الشجرة التي كانت رمزاً لوحدة الأسرة تقطع بقسوة بفأس الابن لأنها صارت «تضايق» زريبة دوابه.

إن اسلوب ايلين بيلين البسيط، النقي، المدهش بعفويته، قد أسر قلوب القراء في بلاده وخارجها ولايزال يأسرها، وقد ترك آثاراً لاتمحى على تطور القصة البلغارية. . . وإنني لأزعم أن الأدب البلغاري لم يتحرر بعد من تأثير ايلين بيلين ويوردان يوفكوف.

ويعود إلى ايلين بيلين فضل احياء عشرات الحكايات والأغاني الشعبية والحكايات الشعرية التي أعاد صياغتها بأسلوبه المميز، ووضع العشرات من الحكايات الشعبية الجميلة التي أغنت ميراث شعبه وأفاد منها العالم.

في أعمال يوردان يوفكوف (١٨٨٠- ١٩٣٧) قصصاً، وأقاصيص، ومسرحيات ثمة معيار فوق واقعي، إن صح التعبير، فيوفكوف يرى أن القيم الخالدة هي الأبقى، والقيم الخالدة في نظره هي المثل العليا، والسمات الإنسانية كالرحمة، والصدق، والحب والجمال، أو هي الرجولة النبيلة في الرجال،

والأنوثة المجيدة في النساء . . وقد أضفت موهبته الفذة على الذين يجسدون أمثال هذه القيم مانجده فيها من جمال واقعي آسر . . . الودعاء والأنقياء هم أكثر أبطال يوفكوف عدداً ، وقد صور إلى جانبهم أبطالاً من الخطاة والعصاة . . . لقد أبدع في تصوير الكثير من الوجوه الإنسانية التي لايستطيع قارىء أعماله أن ينساها . . ومن بين هذه الوجوه التي لاتنسى وجه البينا الجميلة بطلة مسرحيته التي تحمل اسمها ، والتي زوجت ممن لاتحبه فأحبت سواه وتضاربت بشأنها آراء رجال الضيعة الذين رأوا جميلة ضيعتهم تساق مكبلة بالقيود . . . وأي خسارة هي خسارة الضيعة التي تخسر جميلتها . ويلمع في الذاكرة وجه «جندة» التي أصيب زوجها فهجرته ، ولم تلن ، لكن ثمة وجوه قساة لانت مع الزمن مثل وجه «اينجه» ذلك الفاتك القاسي الذي مرت أعناق كثيرة تحت حد سيفه ثم صار في أواخر أيامه انساناً مختلفاً ، وإنها لتأسر خيالنا طويلاً طلعة شيبيل المتمرد الجميل الذي يعشق فتحاك له مكيدة ، ويقتل لأنه لبى نداء قلبه .

لن نجد في أعمال يوردان يوفكوف تحليلاً نفسانياً معمقاً . . إنه فنان بارع يصور بالقلم فتدب الحياة ويزدهر المشهد . . وقد يكون صادقاً من يزعم أنه سيد الكلمة النثرية في الأدب البلغاري .

عاش يوفكوف بعيداً عن الصراعات السياسية والفنية على السواء . كانت بلغاريا تعج في زمنه بأصداء بيانات الاتجاهات الأدبية الحديثة ، لكنه ظل بعيداً عنها . . . عاش مع بسطاء الناس في الريف وعرف الجوع والفقر كما عرفوهما فعكس في ابداعه صورة غنية مشبعة بالألوان لروح الإنسان وجسّد طباعه في أعمال متقنة . وإننا لندهش لرحابة صدره وسمو انسانيته . . فنحن نعلم مالاقاه البلغار من عسف في ظل الحكم العثماني . . وعلى الرغم من ذلك نرى بين أجمل الوجوه التي صورها هذا الكاتب الأصيل وجه صانع العجلات التركي سالي ياشار في قصة «أغنية العجلات» إذ جعل منه رمزاً غنياً بالايحاءات للفنان الحق والإنسان النبيل .

وإيسكي آراب وجه إنساني آخر لانسان من السودان خُطف صبياً من بلاده واستعبد لكنه ظل يحن إلى العودة إلى بلاده وظل يحلم بها طوال حياته. . . ومن يستطيع أن ينسى نقراته على الطبلة وغناءه الحزين. . (قصص يوفكوف المذكورة أعلاه وغيرها، صدرت في كتاب عنوانه «ملاحم الجبال الهرمة» كما صدرت مسرحية «البينا» في كتاب مستقل).

هل أسهبت؟

المعذرة!

لكنني سألخص لكم ببضع كلمات احدى قصصه الرائعة. . فهذا الكاتب العظيم لم يشمل بعطفه الناس وحدهم بل شمل عطفه الحيوانات الضارية أيضاً. . . إنها قصة «خطيئة ايڤان بيلين». . .

لقد قتل هذا الراعي المجرب الذئبة التي كانت تروّع سكان بلدته وتفتك بقطعانهم. . وأحضر جثتها وجرويها إلى البلدة. . وبينما كان يتباهى بما فعل. . راحت الأمهات ينظرن إليه غاضبات. . لقد أطلق الجروين فأسرعا كي يرضعا من ضروع أمهما المقتولة. . وهذا مالاتستطيع النساء احتماله. . فهن أمهات أيضاً. . وفهم الراعي ماقالته نظراتهن. . وركبه الهم طوال حياته. . .

هل لخصت لكم القصة؟

بل قتلتها. . .

لكنني آمل أن تتاح لكم قراءة قصص هذا الكاتب الكبير ومسرحياته، فقد ترجم الكثير منها إلى لغات كثيرة منها العربية.

نهاية الحرب وبداية تطور جديد

هزت الحرب العالمية الأولى، وماأعقبها من أحداث، ضمائر الكتاب والشعراء، ودفعت الذين كانوا في عزلة إلى التخلي عن عزلتهم والانخراط في معترك الأحداث. . . لم تكن الفردانية، قبل الحرب، تياراً أدبياً وحسب بل كانت

سمة للعصر، إذ أدى التطور الثقافي في العقد الأخير من القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين والاحتكاك بالفكر الغربي، وبالأدب الرومانسي الروسي إلى تيسير الانفصال عن الماضي. «وهزت الحرب وثورة اوكتوبر شجرة المعرفة فسقطت عنها الثمار القديمة» (تاريخ الأدب البلغاري، الجزء الرابع، ص٥).

لم تكن الأفكار التي برزت على الساحة جديدة تمام الجدة، لكنها ترسخت وصارت تياراً. فإذا كان بنتشو سلافيكوف يرى قبل الحرب أن «غير الموهوبين وحدهم يكرسون موهبتهم وعقلهم للتمرد والمواقف الإجتماعية - وحسناً يفعلون. . . فهم يفعلون مايأبى فعله الفنانون الجادون لاسواه. ومن الطبيعي أن يموتوا وهم أحياء ويختفوا من وعي الناس وذاكرتهم». (المرجع السابق - ص١٠) فإن الكثيرين بعد الحرب ناقشوا أمثال هذه الفكرة وشككوا في صحتها.

دخل الساحة الثقافية في مطلع العشرينيات فرسان جدد، وصدرت أعمال جديدة ليوفكوف وڤازوف، وتردد في أخذ وجهة محددة كل من ليودميل ستويانوف (١٨٨٨-١٩٧٣) ونيقولاي راينوف (١٨٨٩ - ١٩٥٤) وكانت كبيرة الخطوات الأدبية التي غيرت ايقاع الحياة الثقافية وطورت الأدب البلغاري. . ولعبت الصحافة الثقافية دوراً كبيراً في هذا المجال.

في بداية العشرينيات دار جدال عاصف حول مسألة التراث. ونوقشت المسألة من جوانب متعددة، فأفاد تاريخ الأدب من ذلك الجدال. . وطرحت أيضاً مسألة التواصل بين الأجيال. . وفي ذلك الحين طرحت أيضاً مسائل علم الجمال ودار حولها نقاش حماسي فتعددت الآراء واغتنت الحياة الثقافية وتقدمت، وقد انفتحت دروب جديدة.

في عامي ١٩٢٠ و ١٩٢٢ ظهرت القصتان المرموقتان «الحصّاد» ليوردان يوفكوف و «الأرض» لايلين بيلين، وظهرت أعمال أخرى هامة لآخرين، لكن نبض النثر الأقوى ظل ينبض في أعمال هذين الكاتبين الأخيرين اللذين ظلا متوجهين إلى الماضي حتى ذلك الحين. .

أما في الشعر فجاءت قصائد خريستو سميرننسكي الثورية ضربات مطرقة تؤذن ببداية عصر جديد، وكذلك تفتحت أزهار قصائد الزِافيتا باغريانا مبشرة بربيع غير مألوف ومواسم مباركة.

وغابت أسماء وظهرت أسماء.. ولن يتسع المجال هنا للاسهاب.. ولن نتوقف إلاّ عند أبرز الاعلام.. وحسبنا ذلك.

سيظل اسم خريستو سميرننسكي (١٨٩٨ - ١٩٢٣) مرتبطاً بالانعطاف الكبير في الشعر البلغاري.. لقد دخل المسرح الشعري كالعاصفة وغادره سريعاً بعد أن قلب الكثير من المعايير. كان الجو مشحوناً بالتوتر الاجتماعي فدوّى صوت الشاعر كالرعد.. ومن ثم انهمرت أمطار غزيرة.

عاش الشاعر فقيراً ومريضاً فكتب قصائد ساخرة، أول ماكتب، إذ كانت له أوهام فدمرتها الحرب، ثم انعطف يساراً وخرج بالشعر من إطار «التهويمات الرمزية» وأجرى في عروقه دماً جديداً وحاراً.

دار جدال، في زمنه، حول شعره وحول قيمة ذلك الشعر، ولاتزال أصداؤه تترجع حتى الآن، وهذا دليل على عظمته. فلو لم يكن عظيماً لما أثار ما أثار من آراء ومسائل.

عزف سميرننسكي على أوتار كثيرة منها البؤس، والحب، والحزن، والأمل، والسخرية. لكن نبرات الدعوة إلى الثورة ظلت الأقوى بين نبرات صوته الشعري الأخرى. «إن إشارة هذا الشعر هي الحركة، وشرر الحريق، وألق الأفق المشتعل». (مقدمة قصائد مختارة من شعره- بقلم مينكونيكولوف، ترجمة ميخائيل عيد- ص١٤).

مات الشاعر بالتدرن الرئوي قبل أن يكمل الخامسة والعشرين من عمره لكنه ترك شعراً سليماً معافى لايهرم ولا يموت.

الزافيتا باغريانا (١٨٩٣) اسمها الحقيقي هو الزافيتا ليوبوميروڤا بيلتشڤا . . هي شاعرة الحب والجمال الأولى والأكثر تألقاً في سماء الشعر البلغاري المعاصر . . . فمن الصعب تصور حال هذا الشعر لولاها . . ندخل مع قصائدها عالماً فسيحاً يحمل سمات قلب انساني . إنه عالم السفر المستمر والاكتشافات . . إنها الناطقة شعرياً باسم المرأة البلغارية وباسم نساء العالم . . . وهي أول امرأة تصل إلى ذرا الأدب في بلادها . . . وهي تتعامل مع العالم باعتباره حركة أبدية، السكون فيه يساوي الموت . . . وهي تعشق الطيران . . . وأول كلمة في ديوانها الأول هي «طيروا» تتبعها كلمات مثل أطير، أو أرتعش وغير ذلك . . . حياتها كلها بحث عن الرومانتيكية . . وهي تنتظر من الحياة شيئاً جديداً مدهشاً كل لحظة .

أعطت الكثير ومازالت تعطي، وقد تكون كلماتها الشابة أبداً قد أمدّت جسدها بالعافية وروح الشباب فظلت تتوهج صفاء ذهن، ورونق عبارة، وجمال صورة، وصدق عاطفة، ورحابة خيال .

ترجمت قصائدها، أو بعضها، إلى الكثير من لغات العالم، ومنها اللغة العربية «لقد كتبت عن نفسها بصدق فكتبت للناس جميعاً» كما جاء في إحدى قصائدها . (قصائد مختارة- ترجمة حسين راجي- ص ١٩٦- دار طلاس - دمشق) .

غيو ميليف (١٨٩٥-١٩٢٥) ولد في أسرة معلم . . . درس علوم اللغة الرومانية في صوفيا، ودرس الأدب في لايبزغ . . ظل طوال حياته مشدوداً إلى «كل جديد» في الفن والأدب . . . وقد تعثر كثيراً قبل أن يجد الجديد الحقيقي . تآلف في شخصه الشاعر والناقد، وكانت سماته النقدية تبرز حين يكافح الفن الذي يعتبره قديماً أو حين يدافع عما يراه جديداً . وكان ينتقد بجرأة وحدّة فلا يتورع اليوم عن رفض ماكان امتدحه البارحة . وكان لايني يقرأ أو يصور .

تتلمذ على ياڤروف في الشعر ثم قدّم إلى المستوى الأول بنتشوسلافيكوف، كما تأثر كثيراً بوطنية ڤازوف . . . وحين قرأ الأدب الروسي تأثر ببوشكين،

وليرمنتوف، ونيكراسوف وغيرهم. . . ثم زاد انجذابه إلى الرمزية حين ذهب إلى المانيا للدراسة.

خسر في الحرب عينه اليمنى وذهب للعلاج في المانيا، وانتهت الحرب وهو هناك بهزيمة المانيا وانتصار الثورة البلشفية في روسيا. عاد إلى صوفيا في آذار عام ١٩١٩ وزاول نشاطه المسرحي والأدبي. . . عارض الواقعية بحماسة وشجع ترجمة مقالات ريمي دي غورمون منّظر الرمزية. . . وكان غيوميليف يرى أن «كل شيء رمز» وأن الفن لغز، سر. . . والفن شيء مطلق، خارج الشعب، خارج الحياة والمجتمع.

مع احتدام الصراع الاجتماعي بدأ غيرميليف يبحث عن طريق تؤدي من الرمزية إلى الناس. . . وتم التحول ببطء. ومع تواتر الأحداث تسارع تطور الشاعر، وشرع يكشف نفاق الفاشيين ونذالتهم. . وشرع يناضل في سبيل «مجتمع جديد» فقد رفض «عالم الرأسمالية» وأخذ يدعو إلى الوقوف تحت راية العمل منذ عام ١٩٢٤ . . . وصار همه أن يبدي اعجابه بالشعب المنتفض، ويصور هول الارهاب وقسوة البرابرة في قمع الانتفاضة الشعبية.

ثم قتل الفاشيون غيوميليف فلم يكمل طريقه الفكري - الابداعي الذي اختاره.

صراعات جديدة... وابداعات

وزاد الصراع السياسي - الاجتماعي احتداماً في عقد الثلاثينيات من هذا القرن العشرين، وتتالى سقوط قتلى الكفاح في صفوف الكتاب والشعراء. . . وظل الأدب يتطور. . وبرز في النثر أنجل كاراليتشف وفي الشعر نيقولا فابتساروف من بين كثيرين من الأدباء والشعراء اللامعين.

بدأ أنجل كاراليتشف (١٩٠٢- ١٩٧٢) حياته شاعراً ثم انتقل إلى كتابة القصة فأضاف إلى النثر البلغاري اضافات أغنته وأكملت جوانب من لوحة الحياة

الريفية التي رسمتها قصص ايلين بيلين ويوردان يوفكوف واكسبتها ألواناً زاهية . . لقد جنّح وقائع الحياة وأحلام البشر بأجنحة الحكايات والأساطير والشاعرية ونفخ الروح في فحم الكلمات فصارت جمراً يتوهج ويضيء.

إن تحوله من الشعر إلى النثر أثبت صحة المقولة: «أجمل النثر مايكتبه الشعراء» . . لقد صارت روح الشعر عنده قصصاً وحكايات، وصارت حكاياته شعراً يحسده على رقته وعذوبته الكثيرون من الشعراء. وإني لأزعم أن من أجمل قصص الأطفال في الأدب البلغاري، وربما في سواه، تلك القصص والحكايات التي كتبها أو أعاد كتابتها انجل كاراليتشف (كتب أكثر من عشرين كتاباً للكبار وخمسة عشر كتاباً للأطفال) وحكى بأسلوبه الشعري الكثير من حكايات الشعب البلغاري وغيره من شعوب العالم.

ترجمت أعماله إلى أكثر من ستين لغة . . وقد ترجم بعضها إلى اللغة العربية . . . ونال في حياته أرفع الجوائز الأدبية في بلاده.

نيقولا فورنا دجييف هو الآخر من أبناء ذلك الرعيل (١٩٠٢ - ١٩٧٢) وهو شاعر غنائي يمثل شعره سمات طباع شعبه، أحسن الاصغاء الى نبض العصر، فطمح إلى فن جديد يعكس ايقاع الزمن الجديد في شعر لايكرر شيئاً من القديم، بل يتجه نحو اكتشافات جديدة. تأثر في بداياته بڤازوڤ ثم ببنتشو سلافيكوف، وياڤروڤ وغيرهم. كتب قصائد ساخرة وهو في الرابعة عشرة من عمره.

ومنذ شبابه بلغ المستوى الذي كان عليه الشعر الغنائي البلغاري . . تأثر بالرمزية . . ثم طرق الدرب الجديد.

في عام ١٩٢٣ رأى الفلاحين المنتفضين يربطون كالبهائم إلى الأعمدة الخشبية وتطلق النار عليهم . . . فمضى قدماً متنكراً لقصائده الأولى التي كتبت تحت «تأثيرات غريبة» وامتزج درب الحياة بدرب الابداع . . . وفي النضال بنى شعريته الجديدة. كان يبدع متمهلاً، ينقح شعره ويعيد تنقيحه . . وبدا وكأنه يجدد الأدب البلغاري من حيث المشكلات، ومن حيث معالجة الموضوعات . . . وقد

يكون طابع الألم هو الغالب على شعره، إذ كان الألم هو السمة الأوضح في حياة الشعب. . لقد اتحدت مشاعره وتمثلت في «المرأة والأرض» . . وكان حب الأرض- الوطن، النغم العذب في جل ماكتب. وظل مخلصاً للحياة، ولنفسه وللفن، وظل حضوره ملحوظاً في قصائده، على تنوع امكاناته الشخصية.

وتمر بنا أسماء لها مكانتها الأدبية ودورها الثقافي البارز مثل اتناس دالتشف (١٩٠٤) وستويان زاغور تشينوف (١٨٨٩- ١٩٦٩) وسفيتوسلاف مينكوف (١٩٠٢- ١٩٦٦) وراتشو ستويانوف (١٨٨٣- ١٩٥١) وستيفان. ل. كوستوف (١٨٧٩- ١٩٣٩) وكان أصحابها صوى على الدرب. . ثم نتوقف عند غيورغي كارسلافوف (١٩٠٤) هذا الروائي الفذالذي أماط الأقنعة التي كانت تحجب سمات الواقع الإجتماعي في الريف البلغاري، وقد أعار كارسلافوف الإنسان الريفي عناية خاصة، وحثه على الاستيقاظ وسجل علامات استيقاظه، وسجل ظلال تلويناته النفسية. . . وكان ذا موهبة ساعدته على استكناه الجوهري في المسائل الإجتماعية، وظل يعمل دائباً على تطوير موهبته واغنائها. . . وكانت حياته قاسية كحياة اكثر أبطال رواياته. . وهو أحد المبدعين الذين تابعوا السير على دربهم باجتهاد. . . لم يعرف القفزات. . . قدم نفسه بجهده. وظل يوسع زاوية رؤيته بلا انقطاع. . فرسم لوحة بانورامية لعالم ما بعد الحرب العالمية الأولى مصوراً المآسي اليومية لبسطاء الناس.

ترجم الكثير من أعماله إلى الكثير من لغات العالم. . . وحوّل بعضها إلى أفلام سينمائية أو مسلسلات تلفزيونية. وترجم المحامي المرحوم سهيل أيوب روايته الشهيرة «تانغو» وترجم الأستاذ حسين راجي روايته «الكنة» وحولت هذه الأخيرة إلى مسلسل تلفزيوني عربي استقبل استقبالاً حسناً.

وترعرع خريستو راديفسكي (١٩٠٣) وسط أهوال الحرب والعواصف الإجتماعية. . وظل يحلم بالمستقبل. . أكثر في شعره من قول (لا) لبشاعات الواقع ولم يفقد الأمل بيوم غد. وأسهمت قصائده في تشكيل العالم الروحي

لأوساط الشبان الجدد . . . وجد صوته الشعري على درب الكفاح . . . وكان صوتاً واضحاً وقوياً .

وأمد ليودميل ستويانوف (١٨٨٨ - ١٩٧٣) الثقافة البلغارية بأعمال كثيرة إذ عمل في ميادين عديدة . وقد عُدّ بين أفراد رعيل عالمي من أمثال اناتول فرانس ، وهنري باربوس ، وتيودور درايزر . . . لقد عبر الجسر الى الجديد ببطء . . وحدد طريقه كمواطن منطلقاً من نظرته الإنسانية الواسعة .

واورلين ڤاسليف (١٩٠٤) كاتب متنور واسع الثقافة متعدد جوانب الموهبة . . . ومن ميزاته أنه دائم الركض وراء أمواج الزمن الجديدة . . . وهولا يعرف الكلام بوداعة وهدوء . . . فصوته مرعد قليلاً . . . يتفجر . . . لكن نبرته في قصصه مفعمة دفئاً ، مما يحول نثره إلى غنائية عذبة . . . كتب الكثير . . ولم تفته الكتابة للأطفال وعنهم .

أما لامار (١٨٩٨ - ١٩٧٤) واسمه الحقيقي لاليو مارينوف فأحد الأصوات العذبة في الشعر البلغاري . كتب قصائد كأغاني الحصادين مقتدياً بغيوميليف . . . وشن حرباً شعواء على التقاليد الشعرية . . . التقاليد كلها . . . جسد هموم القرويين . . . وتألق شاعراً مرموقاً منذ ثلاثينيات القرن العشرين ، بل أصبح أعجوبة شعرية حقيقية كشاعر غنائي ومصور مشاهد . فالصور فريدة ، والكلمات فريدة . . . فكأنما استعار مهارته التصويرية من معلمي التصوير الكبار .

في عام ١٩٢٢ ، وكان في الخامسة عشرة من عمره ، انتمى ملادين ايسايف إلى الحركة السياسية . وفي عام ١٩٢٦ هاجر إلى يوغسلافيا لاجئاً بعد فشل الانتفاضة الشعبية . منذ صغره غاب عن شعره «البوح الشخصي» إذ كان مفعماً «بحميا الاستعداد الكامل للكفاح» . . . أحب التشبيه بالطبيعة وكتب بغزارة فصار شعره سيرة ذاتية للعصر . . . وقع أحياناً في التكرار لكن بعض أعماله يرتقي إلى مستوى رفيع من الدرماتيكية .

في النصف الثاني من ثلاثينيات القرن العشرين وبداية الأربعينيات منه بزغت موهبة كبيرة في مسيرة الشعر البلغاري هي موهبة نيكولا فابتساروف (١٩٠٩- ١٩٤٢) الذي يمكن أن ننظر إليه كما ننظر إلى بوتيف أو ڤازوف أو سميرننسكي.

لقد رأى وجه الحياة الفظ سافراً وبلا تزويق... وجه الحياة التي تقسو على الإنسان وتسحقه. هناك في المصنع حيث التنفس ثقيل وخانق... ولم يفهم أحد لغة العامل كما فهمها هذا الشاعر.

لم يعش متفرجاً على زمنه الديناميكي بل كان جزءاً منه. وقد ترجم ديوانه «أغاني المحرك» إلى لغات كثيرة... وأعيد طبعه بالعربية مراراً... إنه تلميذ ياڤروف النجيب في البحث عن الكلمات الأكثر تعبيراً... وعنه أخذ الشعور بالواجب وحب البلقان جبل الثائرين الخالد. أغنى كثيراً موضوعات الأدب الثوري البلغاري... لقد غنى جمال وطنه وفقره.. وكان مجدداً في كل ماكتبه.. وكان حبه للإنسان عميقاً.. إنه انساني القرن العشرين الذي عمل بلا كلل من أجل سعادة الناس.

مجّد الأبطال وسخر أوجع سخرية من المتطلعين أبداً إلى الوراء. كانت السخرية في دمه كما كانت البطولة... لايخلو شعره من الروي أو القص. وكان لايكف عن ذكر ياڤروف ولايني يعلن حبه لبوتيف.

في ٢٣ تموز عام ١٩٤٢ حكمت عليه المحكمة الفاشية وعلى نفر من رفاقه بالاعدام... وفي الساعة التاسعة من مساء اليوم ذاته أُعدموا رمياً بالرصاص.

الأكثر قراء بين المؤلفين البلغار هو تشودومير (١٨٩٠- ١٩٧٦)... اسمه الحقيقي هو ديميتر تشورباجييسكي. فهو أديب ومصور مرموق... تكونت شخصيته عبر احتكاكه اليومي بحياة الناس ومن خلال عمله معلماً... ويمكن أن يقال إن هذا الكاتب لم يغادر عالم الريف حيث يترعرع المرح والنشاط.. في الريف نشأت حدة ملاحظته، ومنها تكونت مهارته كاتباً ومصوراً... إنه يرى أدق السمات فيرسمها ويلونها، ثم يختمها بخاتم سخريته... ثم يخرجها إلى الناس.

رسم صوراً ساخرة وهو في السابعة عشرة والثامنة عشرة، ونشر قصائد ساخرة ثم توقف. . صار ذلك من الماضي. وفي الثانية والأربعين عاد إلى اسلوبه المرح الواثق. . فقد أكمل دراسته منذ زمن بعيد وأصبح مدرساً في ثانوية. . . وهناك راح يلتقي يومياً بأبطاله الذين يعيش معهم حياتهم الريفية. . . وبلغ أوج الشهرة.

كان يسخر حتى من نفسه، ويذكر أنه كان يهتم بالتاريخ، والعمارة، والأدب، والتصوير. . . والمثل الشعبي يقول: من يطارد أرنبين في وقت واحد لن يصطاد أياً منهما. . . لكنه اصطاد أرانب كثيرة، فهو صياد ماهر ويعيش بين الأرانب.

كان يحب الطرفة أكثر مما يحب القصة والأقصوصة. . . وهو لايحب التعرية بل يحب الاضحاك. . . قد تكون الدموع في الضحك، ولابأس في أن يستدعي الضحك دموع الفرح. . . وللسخرية ألوان وظلال كما للتصوير. . . وقد استقبلت صوره وأقاصيصه باحتفاء كبير في العالم. . . وهذا يعود إلى كونه ظاهرة أصيلة من ظواهر الأدب في بلاده. . .

صدرت بالعربية مختارات من قصصه ترجمها حسين راجي. عنوانها «لست منهن» وأعيدت طباعتها.

وارتبط أكثر ماأبدعته دورا غابي (١٨٨٨ – ١٩٨٥) بالأطفال واليافعين، إذ كتبت لهم القصائد والقصص والروايات التي أحبها الأطفال الحب كله. . . ولم يكن ماكتبته للكبار أقل أهمية، فقد برزت بين الشاعرات الرائدات في بلادها من حيث عمق الإحساس وعذوبة التعبير.

أمضت طفولتها في الحقول الفسيحة من أملاك أبيها المهاجر من روسيا بيتر غابي إلى منطقة دوبروجا. . .

نشرت قصائدها الأولى في مطلع القرن العشرين ثم صمتت استعداداً لأعمال ابداعية منوعة. . . فقد ترجمت الشعر البولوني إلى البلغارية باسلوبها

الرشيق . . وكان ديوانها الأول للأطفال «أغنيات صغيرة» عام (١٩٢٣) أحد الأعمال التي أثارت الكثير من الاهتمام . . . وفي عام ١٩٢٧ أصدرت رواية للفتيان عنوانها «الدوبروجي الصغير» فزاد اهتمام الدارسين بها . . . وتتالت أعمالها للصغار والكبار . . .

لقد ارتكز أدب الأطفال في بلغاريا على ثنائي الفولكلور والواقع . . . ودورا غابي ترى أن اسلوب الحكاية الشعبية هو الأسلوب الأفضل في الكتابة للأطفال . . . وكاتب الأطفال الناجح، في نظرها، هو الذي لم يمت فيه الطفل الذي كانه، أو هو الذي ينظر إلى العالم بعيني ذلك الطفل. وهي ترى أن على الشعراء أن يبنوا أنفسهم كشعراء معاصرين أولاً، وأن يكونوا هم أنفسهم أبطال العصر . . . أما السياسة والأدب فالعلاقة بينهما متبادلة ولا يمكن أن تنفصل.

البطلة عند الزافيتا باغريانا هي أولاً امرأة، والبطلة عند دورا غابي هي امرأة أخيراً . . . وتبقى قصائد الشاعرتين متألقة بوهج الحب . . . فالأعوام تمضي ويبقى القلب يحيا مع الأوهام، ومع رؤى الماضي.

ديمتر تاليف (١٨٩٨ - ١٩٦٦) رجل فذ كمنت في جسده الناحل قوى كفاحية كبيرة. وكان في طبعه الكثير من صلابة طبع الرجل الذي عاش في ظروف صعبة . . . تختفي وراء نظارتيه نظرات رجل ديمقراطي كافح في سبيل المساواة، والإنسانية ومن أجل حقوق البشر، والتفاهم بين الناس.

لقد اتحد ديمتر تالف المناضل وديمتر تالف الرجل عبر رؤى فنان. لقد رسخ كمناضل فضائل شعبه، وحمل بلاده حيثما حل، حملها حباً وألماً . . . وكان مولعاً حباً بمسقط رأسه . . . وكان حبه لوطنه يتمثل حباً للحرية.

ظهرت الشجاعة سمة بارزة في أوائل أقاصيصه، ثم تعالى صوت الاحتجاج الإجتماعي متحداً بحماسة الوطني الغيور . . وقد كتب، في غمرة النضال الكثير من المقالات . . وكان يحمل هم مكدونيا المستعبدة وتضنيه عبوديتها . . وقد تجلت

همومه في روايته «السنوات المجهدة» ومسرحيته رباعية الفصول «تحت السماء الجهمة» وقد أمدته ذاكرته بكثير من الحوادث والوقائع.

تأثرت أقاصيصه بيوردان يوفكوف من حيث النظر الى العالم. وكان متأثراً بالكلاسيكية البلغارية عموماً، من ڤازوف إلى يوفكوف... وقد انطوى الكثيرون من أبطاله على نفوسهم، وأحاطوا أرواحهم بأسوار عالية كالتي تسور باحات دورهم.... كل منهم سيد نفسه وراء الباب المغلق فقط. قد تعتري أناس أعماله رغبات شتى... وقد تحتوي قصصه القصيرة جداً مشاهد ولوحات نموذجية... والكثير منها ذكريات دافئة. وهو يقود القصة من عنوانها ويمضي بها قدماً لكنه يبقى حاضراً فيها. وأناس الذكرى هؤلاء المولودون من الذكريات سيخرج منهم رسول أو متمرد... ويكون هؤلاء جذر الثوار المقبلين. وإذ يعيد الكاتب خلق الماضي الفظ يسعى إلى جعلنا نتأمل أنفسنا.

أحب الكثيرون من الكتاب البلغار القيصر البلغاري صامويل، لكنّ أحداً منهم لم يحبه كما أحبه ديمتر تالف، فهو الذي وضع الأسس لمستقبل بلغاريا وظل رمزها الخالد. وقد أحبه ملهماً ورجل دولة...

إن قصص تالف التاريخية تحمل أفكاراً جديدة وتناولاً فنياً رفيعاً، ومن هذه القصص قصصه عن صامويل.

ومع أنه احتل مكانة رفيعة في الأدب البلغاري منذ الثلاثينيات، فقد تحول في الخمسينيات الى مبدع وطني أدهش القراء والكتاب المعاصرين... فقد برز فناناً كبيراً ومعلماً بارعاً في تصوير الروح البلغارية وبلغ أوج النضج. لقد تبع الآثار الكلاسيكية البلغارية، وظل متميزاً عنها. لقد مشى على خطوات عملاق الأدب البلغاري ڤازوف، لكنه بقي كاتباً من طراز بسيكولوجي مختلف، وقد أفاد من المذكرات والوثائق وكتب التاريخ الهامة.

إن عمله طويلاً على «القنديل الحديدي» شدد قواه الروحية وجعل منه مبدعاً كبيراً. كانت البداية صعبة لكنها رسمت حدود موهبة تالف، فالقنديل الحديدي

عمل ابداعي موضوعه تعقيد النفس البشرية وديناميتها. فتصادم التقاليد القديمة مع الانفعالات الجديدة يمر عبر الإنسان. . . وفي العالم يتحد الكفاح ضد الانحباس مع الكفاح في سبيل الحركة. وتغنينا هذه الرواية بالمعطيات التاريخية. وهنا ترتسم اللوحة التاريخية عبر الروي، والحركة لاتتوقف، إنها كالنهر الذي يعمّق مجراه.

لقد كشف ديمتر تالف مغزى العصر الداخلي عبر روح الإنسان. وقد استقصى جوانب الدراما الإنسانية المعقدة. وهذا ما زاد من قوة الفن في كتابه الأول. أما اللوحة الإجتماعية فتنبثق مع شعر الحياة الخاصة العميق. ويرتبط التاريخ عفوياً بطباع الناس. . . وتهب في مدنه الهادئة رياح العواصف البشرية. وتحت السقوف المتداعية تنبض قلوب الناس طافحة بالألم وبالحب والظمأ إلى الحرية.

في «أجراس بريسبان» يحكي حكاية دمار طمأنينة التاريخ. الزمن المصوّر هنا مكثف بطاقة نضالية، إنه زمن الانفجار. وهي حكاية العذاب الشخصي والشعبي الممض. وهنا تمتزج حكمة التاريخ بتفاؤل الراوي الذي سعى جاهداً في سبيل أن تكون الوقائع التاريخية صحيحة تماماً. . . وكلما اجتاز أفقاً تنامى عطشه إلى ابداع جديد.

في كتابه «اسمع أصواتكم» صفحات من التاريخ تبحث في مسائل الحياة والموت. إنه يسمع الأصوات البعيدة ويمضي وراءها وكأنها حقيقة. واللغة، هنا، لاتنفصل عن طباع الأشخاص وسماتهم. وفي الطباع يتجسد موقف الكاتب الأخلاقي.

«اسمع أصواتكم» رواية تحكي حكاية الثورة، إنها رواية التضحية، ورواية الحب الضائع.

وينسكب حب ديمتر تالف لبلغاريا في رواية كبيرة أخرى هي «صامويل». . كان رجل الدولة هذا قوياً ومرناً، نشيطاً مثل فتى، وشعلة متوقدة، وهو إلى ذلك، شخص مأساوي ضعيف. . . جسّد آمال الشعب في الزمن العاصف، تجسدت فيه

فضائل القياصرة البلغار مثل النظرة الحكيمة إلى الواقع، ومرونة العقل، والبطولة والصبر. وقد بنى الكاتب بكثير من الخيال الاطار حول البطل... فصامويل رجل... إنه رجل العصر، بل هو الرجل عموماً.

إن البطل التاريخي في العمل الفني يحمل شيئاً من سمات المؤلف. وقد أضفى المؤلف على صامويل معرفته التاريخية وحلمه. وكي يعصرن تالف بطله دخل تحت قباب العصور الوسطى. لم يبحث عن التناقضات والمعاني الفلسفية كما فعل اميليان ستانف، بل قدم صامويل كشخص يعمل، شخص نقي الوطنية. يبرز طبعه في كفاحه ضد الخونة من البلغار وضد البيزنطيين.

لامجال، هنا، للكلام على أعمال تالف الأخرى، سنكتفي بالتذكير بأنه ظاهرة مدهشة في الأدب البلغاري... أسهم مسقط رأسه في تكوين خياله التشكيلي وقدّم له «الديكور» الذي تحركت فيه شخوص أعماله.

استقبل تالف نجاحاته الأدبية بلا تمظهرات التفاخر. وهنا أيضاً كان قريباً من يوفكوف، الذي كان هو أيضاً «انساناً بسيطاً وشعبياً». وكان مثله نبيلاً...

ومثله سيبقى أدبه فاعلاً في الأدب البلغاري.

معلم كبير آخر

ايميليان ستانف (١٩٠٧) هو أحد المبدعين الذين يجذبون اهتمامنا بابداعهم وكأنهم جرس الزمان... وهو أحد الذين يلفتون انتباهنا بأصالة شخصيتهم. أعماله الإبداعية صورة «لغوية» لزمان هو الأقرب وهو الأبعد. إن شخصيته جذابة بشجاعتها وبسعيها إلى التعقل والحقيقة العارية، وبتمرد فكره وصراحته. واسعة هي ردود فعل هذا الكاتب الميال إلى فهم الحياة، هذا المثقف والفيلسوف العفوي مثل طفل.

إنه يحب اشراك الآخرين في خططه وأفكاره ومايثيره من أمور، نحس في أعماله قلق الدارس روح الإنسان، وانسجام تناغم الفكرة والكلمة المعبرة التي

تتناول الطبيعة والإنسان. ومن سماته حب التوجه دائماً نحو مهمات جديدة... لايكرر نفسه في اسلوبه التعبيري. وهو مميز أبداً في الموضوعات وفي التعميمات الفكرية، وفي دقة تعبيره اللفظي. يغير صوته الداخلي في كل عمل من أعماله متوجهاً إلى العمق الذي لايتكرر، ويعمل بدأب متصل، ولايخلو عمله من تفاصيل شاعرية... وعبارته متعددة الأصوات فكأنه يعزف على الآلات كلها حين يصف الطباع أو الطبيعة.

احتل الكاتب مكانه في الأدب البلغاري في بداية الثلاثينيات الى جانب سفيتوسلاف مينكوف... وكان ايليا ڤولن قد أصبح اسماً أدبياً. ووسط هذه الأصوات من الناثرين متعددي الأساليب من المجددين مثل مينكوف، والتقليديين مثل ڤولن برز كاتباً واقعياً مميزاً. لم يبحث عن الهزل في الواقع، ولم يشأ أن يكون دقيقاً مثل ايليا ڤولن ولاشاعرياً مثل أنجل كاراليتشيف... جاء إلى صوفيا كي يدرس في أكاديمية الفنون فشرع يكتب الأدب.

نجد العاصمة في أعماله الأولى... ونصادف القادمين اليها حاملين عالمهم الريفي. هكذا هؤلاء التعساء في كتابه الأول «بروق خادعة». ومع أنه لم يكمل الدراسة في أكاديمية الفنون فقد اكتشف في نفسه موهبة التصوير كفنان (ولنتذكر أن ايلين بيلين كان يميل إلى الفن» وكان يستيقظ في داخله هذا الفنان المتعطش الى لعبة الضوء والظل وتموجات الألوان.

أضاع سنوات في ممرات الجامعة.. ثم عادت إليه شهوة الصياد.. إذ مارس الصيد حين كان يدرس في الثانوية.

في الحادية والثلاثين من عمره صدر له كتاب أقاصيص. وفي مثل هذه السن يكون الكثيرون قد استنفدوا طاقاتهم الإبداعية. إن ايميليان ستانف هو نمط آخر من المبدعين. لم يدخل الأدب بحمية الشباب بل باطمئنان فنان وكاتب. لقد تخلى عن الكثير من أوهامه، وكان يعرف أوهام من هم حوله، وقد ساعده غناه الروحي على أن يسامح الآخرين. —

لقد صُطدم بالمسائل التي ستظل تثير اهتمامه طويلاً. وقد اقلقته مسألة الإنسان والطبيعة، ومسألة هيمنة القوى غير الأخلاقية على العالم المتحضر، ومسألة الحرية والحقيقة.

ويصبح اسلوب ايميليان ستانف نفسانياً أكثر فأكثر، خصوصاً في كتابه «أيام العمل والأعياد» وكان واقعاً، حينها، تحت تأثير انطون تشيخوف. لقد صار نثره عقداً غنياً من المجازات ذات المعيار الفني الرفيع. أبطاله شخصيات بائسة: سائق عربة مسكين، فتى مهمل، موظفون مسرحون من وظائفهم، ومحامون فاشلون وغيرهم من ضحايا المجتمع.

لم يكن ستانف يحب العاطفية... وتعاطفه مع الإنسان ليس مبعثه العواطف، فكأنما الكاتب يقول: هو ذا الواقع الذي أراقبه فضعوه أنتم على الميزان واحكموا له أو عليه.

وتقلق المسائل الفلسفية الفنان ايميليان ستانف... فعالمه مليء بصراعات الحيوانات البرية التي تعيش معنا وتطير فوق بلادنا، إنه عالم متعدد الوجوه... يحكي الكاتب حكايات الذئاب والثعالب، والأرنب والبومة، والبطة والحدأة، والحمائم، والاوزات البريات، والصقور وغيرها.

وخلافاً ليوفكوف الذي يؤنسن الحيوانات كثيراً فإن ايميليان ستانف أكثر فجافة وواقعية. فالذئاب يطاردها الشتاء والأرنب يلاحقه الصياد، والعصافير الصغيرة مطاردة من الحدآت والصقور... الخ.

والحيوان متحرر من البيئة ويتحول فيها. في وعيه يحيا ويتنفس لغز الطبيعة الحقيقي. لقد وصف ايميليان ستانف من خلال شخوص أعماله من الحيوانات طبيعة بلاده بجبالها وسهولها، بأنهارها الصغيرة ولياليها المظلمة وعواصفها الثلجية، وصباحاتها الشفيفة، ونهاراتها الحارة... ويتحول كل ذلك إلى ألم وتوق.

أكدت روايته «أيام العمل والأعياد» رسوخ قدمه كمعلم بارع في موضوع الريف. وهو لايكتفي بما يصل إليه مادامت الحياة في حركة. ومن خصائص الموهبة أنها تتجه دائماً نحو الجديد، نحو المجهول.

جسد ستانف قضايا النضال زمن الحرب العالمية الثانية، والكفاح ضد الفاشية في قصصه الطويلة «في مساء هادىء» لقد أصبح الزمن الآن مشحوناً بالتوتر، بالكفاح، وقد طبع المحتوى الاسلوب بطابعه... وطرأت تحولات أكبر على أسلوب الكاتب. لا اسم للراوي في قصة «في مساء هادىء» لكن معرفته كاملة ويلتقي عنده الماضي والحاضر.

في «سارق الدراقات» يقوى الاتجاه نحو تغييب اسم الراوي. هنا تتبدل وجوه ثلاثة رواة. وثمة هنا مأثرة اجتماعية... فالبطلة مميزة... نضالها نضال في سبيل السعادة والخروج من العالم الكئيب الذي يقتل الإنسان في الإنسان.

وتتوالى أعمال الصياد الشاعر، الفنان العاشق لطبيعة بلاده. كثير من الأقاصيص وأربع قصص طوال، ثم روايته المرموقة «حين يذوب الجليد».

ويخطفه أمر جديد... الرواية الكبيرة... فالحياة تتغير أمام ناظريه.. ويكتب «ايڤان كوندارف»..

كانت أصداء صدور رواية «تبغ» لديمتر ديموف ماتزال تدوّي... وصدرت «القنديل الحديدي» وتألقت موهبة تالف. إنه يسعى إلى التوحد مع الشعب ومع التاريخ. وبرزت في الرواية سمات جديدة لشخصية المؤلف- مثقف مرتبط وثيق الارتباط بحواسه، موهوب في القص والتشكيل، ميال إلى التحليل والبحث في الأعماق. ووجه المجتمع يتغير وتتعدد جوانب القضايا... والمؤلف يحترم الوقائع... يتناول الواقع كسيد من أسياد المعرفة، ويضفي على الأمور معرفته الفلسفية.. والتاريخ في نظره ليس سلسلة من الحوادث. إنه تضاد القيم

الأخلاقية، والامتحان العسير للشخصية. إنه خراب روحي وبناء. والأحداث تتوالى بآلاف التفاصيل لتغني الحياة.

لقد أثرت روايات دستويفسكي حول الجرائم والتحقيقات في الرواية البلغارية واكتسبت ايقاعها البلغاري على يد ايميليان ستانف.

وتبقى روايات ستانف بانوراما ساطعة للزمن الذي تنامت فيه التيارات كالفطر. فالناس متباينون، والشخصيات مختلفة المصائر، وفي كل منهم نحس شيئاً من الحياة التاريخية مبرزاً وكأنه الحياة الشخصية.

رواية «ايفان كوندارف» تذكرنا بالشكل الأدبي النموذجي للقرن التاسع عشر. لقد ابتعد عن الأشكال المعروفة، فلم يكررها بل أنعشها وجددها... أما تلوينات الرواية فتقوى وتتضح بفضل اللغة. فهي لغة موحية غنية بالألوان، لغة مرنة، ودقيقة وقوية في تعبيراتها النفسية وفي تصويرها التشكيلي. وتبرز المهارة عند رسم الصور «البورتريه» والتحليل مبسط، يتم التوصيف فيزيائياً ونفسانياً. والعمق الفلسفي للعمل مصان بالألفاظ. الأسلوب مزدوج- أرضي تصويري، تشكيلي، وآخر روحي، تأملي مفعم بالرموز المقتبسة من أدب العصور الوسطى. فكأن الكاتب يريد أن يستعيد كل جبروت اللغة المضيع. إنه يحفر في أرض الماضي ولايكف عن الكلام على المشاعر الإنسانية، عن توتر الشهوات، والتأملات والأفكار.

بعد «اسطورة سيبين» كتب ايميليان ستانف روايته «أنتي خريست» ملتفتاً أيضاً إلى الماضي، متتبعاً الآثار الروحية منه... وكانت الرواية ظاهرة جديدة في الأدب والفكر وفلسفة التاريخ في بلغاريا، وقد رفعته إلى مصاف مبدعي الأدب العالميين... لقد مضى قدماً في أصالته... وبأسلوبه الأصيل عالج مسألة الإنسان على ثلاثة مستويات: الروح، العقل، الجسد. وقد أغنى أدواته التعبيرية كثيراً.

الرواية ليست كبيرة حجماً لكنها مشبعة بالمحتوى، بالحقيقة التاريخية، وبالتنوع: من السخرية إلى المأساوية في وجودنا التاريخي.

وفي قصته الطويلة «ملكة تورنوفو» يعود ستانف إلى التاريخ أيضاً، لكنه الماضي الأقرب إلى زمنه.

قال باسكال: «كل شيء كبير في النفس الكبيرة» وفي أدب ايميليان ستانف وفي شخصيته دلائل التكامل والكبر. إنه أحد المعلمين الكبار في النثر البلغاري.

رعيل جديد وتطلعات جديدة

ديمتر ديموف (١٩٠٩- ١٩٦٦) موهبة كبيرة يمكن أن تقارن بموهبة ڤازوڤ، ويوفكوف، وياڤروڤ من حيث العمق الروحي وقوة العبقرية.

كان يتطلع دائماً إلى الأمام وهو يدرس الواقع ويحلله. وكان ظامئاً إلى النشاط والتغيير. وثمة في ملحوظاته خيط من السخرية مما يشير إلى الرغبة في التجاوز. فهو يتكلم في إحدى رسائله على «الأشياء المضحكة».

تنبع مأساة أبطاله من أحلامهم الخيالية. ولاتوجد في نثره حقول فارغة ولاصفحات بلا حوادث... إنه يقدم أبطاله «بامكاناتهم المحددة» كاملة. وهو كاتب اجتماعي يكشف جذور المسائل... لقد صمت طويلاً ثم صدرت روايته «نفوس مدانة» عام (١٩٤٥) فالكتاب يجب أن يولد «من نفسه ومن الحياة» وقد صوّر فيها اسبانيا ودخل في «مناخها الروحي».

يرسم ديموف مصائر الناس في رواياته على خلفية من الأحداث التاريخية.. ويرسم الطباع بأهوائها، وسماتها النموذجية، الارادة ونكران الذات تصيران رمزاً انسانياً عاماً.

في روايته «تبغ» الصادرة عام ١٩٥١ تحليل للمجتمع البلغاري عميق... وهي رواية من طراز تقليدي أغناها بقيم ثقافية جعلتها بمصاف عمل تجريدي في أدب بلاده إذ احتوت على كثير من المرامي الفنية. فهي ملحمة، حقاً، تفضح

البرجوازية البلغارية وترسم لوحة لحياتها . . . وتندرج في نسيجها فئات اجتماعية كثيرة : الفلاحون منتجو التبغ ، العاملون في مستودعات التبغ ، عملاء صغار لتجار التبغ ، ومحتكرو التبغ المرتبطون باحتكارات التبغ الأجنبية . والرواية ، إن شئنا الايجاز ، حدث كبير في الأدب البلغاري ، بل هي ملحمة وطنية كبيرة . . . ترجمها إلى العربية سعيد جوخدار وراجعها الدكتور أحمد سليمان الأحمد وصدرت عن وزارة الثقافة في دمشق ثم أعادت طبعها إحدى دور النشر الخاصة .

وكتب ديمتر ديموف مسرحيات أغنت المسرح البلغاري ولقيت أصداء واسعة في بلاده إذ جسد فيها طباعاً بشرية مميزة . . . وكتب ، أيضاً ، القصة القصيرة . . . وكتب عن رحلاته ، وكتب ، وكتب وكان أصيلاً في كلّ ماكتب . وقد ترك أعمالاً لم تكتمل بسبب موته المبكر .

تودور بافلوف (١٨٩٠ - ١٩٧٧) كان أثره عميقاً في أكثر من ميدان من ميادين المعرفة . فهو فيلسوف يهتم بمسائل علم الاجتماع والتربية . منّظر مرموق في الفن والأدب - درس أدب الماضي وأدب الحاضر وأضاء أعقد الجوانب في تاريخ الأدب ، تنظيراً ونقداً . إن نشاطه الدائب طوال أكثر من نصف قرن قد أغنى الثقافة البلغارية . لقد درس الكلاسيكيات الروسية والأوروبية وتأثر بالانسكلوبيديين الفرنسيين وبليخانوف . . . واعتقل بعد انقلاب ١٩٢٣ فكتب «رسائل من السجن» وبعض الأعمال الفلسفية . وحين خرج من السجن نشط نشاطاً متعدد الجوانب وعمل محرراً في أكثر من صحيفة تقدمية .

في عام ١٩٤١ وقع ، من جديد ، بين يدي الشرطة ، وانتقل من معسكر اعتقال إلى معسكر آخر . وهنا أيضاً عمل على أن يكون مفيداً ، فقدم النصائح للمعتقلين وساندهم ورسخ معارفهم .

حين استلم رئاسة الأكاديمية البلغارية للعلوم أظهر الكثير من الحكمة والمقدرة على تحويل الأكاديمية في عقد واحد الى أكاديمية من نمط جديد .

في عـمليـه «نظرية الانعكاس والكيـبرنيـتيـك» و «الإبداع، والانعكاس، والاعلام» (١٩٦٥) طرح بافلوف أفكاراً مفيدة حول العلاقة بين الإعلام والإبداع، والاختلاف بين عمل الإنسان المبدع والآلات البكرنيتيكية. . . ولايزال الكثير من أفكاره صحيحاً من حيث الجوهر حتى اليوم. . . وكانت كل مقالة من مقالاته تثير الكثير من الأصداء، وتستثير الكثير من التحليلات. وقد احتلت المركز من نشاطه المسائل الفلسفية - الجمالية، والمسائل المنهجية. وكانت أعماله كثيرة وهامة في هذا الميدان. وقد رد رداً مقنعاً على الذين زعموا أن الفلسفة المادية لاتعير مسألة الابداع الفردي الأهمية التي تستحقها. ومنذ الثلاثينيات حدد مهمات نظرية الفن وعلم الجمال. لقد ألقى مهمتين على عاتق علم الجمال: أن يعطينا الكثير أو القليل من الإيضاح الواقعي الموثوق للعالم، وأن يسلحنا، في الوقت نفسه بالوسائل النظرية - الايديولوجية بشأن تحوله اللاحق، بمعنى أن يصبح اكثر عدالة اجتماعياً، وأكثر أخلاقية وأكثر كمالاً وأروع وأجمل. وقد أكد بافلوف أكثر من مرة أنه يجب ألا يُخلط بين منهج الجمالي باعتباره علماً ومنهج الفن كإبداع فني.

وكانت مسألة الشكل والمحتوى إحدى المسائل المركزية التي شغلت بافلوف طوال عقود تالية. وقد عمل طويلاً على مسألة عكس الواقع جمالياً في الفن، وكتب في ذلك مقالات كثيرة. وظل يدافع، بلا كلل، عن الميراث الثقافي البشري.

وإذ كان يقوّم أدباء الماضي القريب أو البعيد كان يدرس نتاجهم آخذاً في الاعتبار الزمن الذي كتبوا فيه أعمالهم مع كل مايعتمل في عصرهم من تفاعلات سياسية وثقافية.

نيقولا فورنا دجبيف (١٩٠٣- ١٩٦٨) شاعر ذو طبيعة عاطفية تمور بالمشاعر والأفكار. انتقل في صغره من مدينة إلى أخرى بحكم وظيفة والده. . . بدأ يدرس الطب لكنه قطع دراسته وعاش متخفياً بعد اضراب عام ١٩٢٤ الطلابي، ثم ألقي

لقبض عليه. أنهى دراسة الفلسفة والتربية في صوفيا (١٩٣٠)... ثم مارس أعمالاً كثيرة.

سار خطواته الشعرية الأولى متأثراً بايفان ڤازوف ومن ثم سلافيكوف وياڤروڤ، ثم دبليانوف، وليلييف وبويادجييف.

برزت شاعريته على صفحات مجلة «الطريق الجديدة» وإلى جانب الشعر كتب مقالات تقويمية للكتب والمجلات والعروض المسرحية مدافعاً عن الفن الجديد.. وساعدته في ذلك إفادته من الأدب المعاصر الحي. تشدد في نقده على الاخرين وعلى نفسه أيضاً... وكان يستلهم ضميره في كل مايكتب. وكان يرى أن كل شاعر كبير هو شخصية مسؤولة... أصغى بقلق إلى نبض العصر وظل توّاقاً إلى فن جديد مرتبط بأسمى تطلعات الناس.

جدد في الموضوعات، وفي منظومة التعبير وأغنى القاموس الشعري فأدخل دماً جديداً حاراً الى الشعر البلغاري، مبدعاً شعراً غنائياً يمتزج فيه الخاص بالعام، وتتنوع موضوعاته فاحتل مكانة مرموقة في تاريخ الشعر الغنائي.

نال جائزة ديمتروف عام ١٩٦٥.

وباڤل ڤجينوف (١٩١٤-١٩٨٩) أحد الكتاب المرموقين في الأدب البلغاري... ولد في صوفيا وأكمل دراسته الجامعية فيها. عمل محرراً في صحف ومجلات كثيرة... شارك في الحرب الوطنية وعمل في دور نشر عديدة وكتب سيناريوات لمؤسسة السينما...

كتب في البداية قصصاً تدور حول الحياة في ضواحي صوفيا وهي تنضح شاعرية وسخرية من ضيقي الأفق.

تردد طويلاً بين مدارس الغرب الأدبية ثم لزم الواقعية.

وتوالت رواياته.. ثم عاد إلى كتابة القصة مصوراً التناقض في مسيرة تطور المجتمع.. نال شهرة واسعة بين القراء الشبان إذ كتب روايات لليافعين فيها الحماسة

والمغامرة. وكتب سيناريوات للسينما وقصصاً في موضوع الرياضة على شكل ريبورتاجات.

في السنوات الأخيرة اتجه ڤجينوف من جديد الى الرواية. وقد رسخت قدماه كفنان في مسائل حياة المدينة وفي قضايا المثقفين، وكبارع في التحليل النفسي..

ترجمت أعماله إلى لغات كثيرة... ونال جائزة ديمتروف عام ١٩٥٠.

عام ١٩١٥ ولد ايفريم كارانفيلوف في مدينة كيوستنديل ونال فيها الشهادة الثانوية... أنهى المدرسة العسكرية ثم الجامعية في صوفيا... شارك في الحرب الوطنية قائداً لوحدة «غوتسه ديلتشف» التي كان أحد مؤسسيها..

عمل في صحف ومجلات كثيرة وتسنم مناصب ثقافية عديدة... ثم شرع يكتب بانتظام إلى مجلة «الرأي الفلسفي» حيث نشر دراسات كبيرة وأبحاثاً ومقالات على قدر كبير من الأهمية.. كما نشر في غيرها من المجلات معالجاً الجوانب السلبية من المسائل التي كانت مدار نقاش في حينها... وبرزت مهارته منذ ذلك الزمن.

كتب أكثر من (٦٠٠) مقالة أدبية نقدية ودراسة فاحتل مكانة رفيعة في الحياة الثقافية البلغارية وقد صدر له أكثر من (٤٠) كتاباً في النقد والتاريخ الأدبي وعلم الإجتماع...

كارانفيلوف ميال إلى المسائل البطولية والرومانسية.. وقد أقام معرضاً للأبطال والرومانسيين في كتابه «أبطال وطباع» (ترجمت الكتاب وصدر عن وزارة الثقافة في دمشق عام ١٩٨٢) ثم جاء كتابه «بلغاريون» مرحلة أعلى بين مراحل تطوره الابداعي.. ففي هذا الكتاب عالج المؤلف، باسلوبه المميز، مشكلات الطبع الإنساني ومشكلات العصر متعمقاً في كنه الكينونة البشرية للكثيرين من الأبطال المنسيين وغير المنسيين من أبناء بلاده وأحيا ذكراهم وأظهر علاقتهم بحاضرنا وتأثيرهم عليه.

ترجمت مقالات كثيرة من مقالاته إلى لغات كثيرة في شرق العالم وغربه، وصدرت له بالعربية الكتب التالية: «أبطال وطباع» عن وزارة الثقافة و «الجذور والعجلات» عن دار طلاس بدمشق و «مقالات مختارة» عن دار حطين بدمشق.

نال أكثر من جائزة أدبية... والأهم بينها جائزة ديمتروف عام ١٩٧٢...

فيسيلين خانتشف (١٩١٩ - ١٩٦٦) أيضاً هو أحد الشعراء الذين شاركوا في الحرب الوطنية البلغارية (١٩٤٤ - ١٩٤٥). درس الحقوق في صوفيا وعمل في تحرير الصحف الثقافية ورئيساً لقسم الأدب والفن في اذاعة بلاده، وفي دار الاوبرا وغيرها.

صدر ديوانه الأول حاملاً عنوان «اسبانيا على الصليب» وفيه احتجاج عالي النبرة على اقتتال الأخوة في الحرب الأهلية في اسبانيا... وكان موقفه انسانياً.. ثم برز شاعراً مرموقاً بعد التاسع من ايلول عام ١٩٤٤ إذ صدر ديوانه «قصائد في أغلفة الطلقات» وهو سجل يومي غنائي للبطولة على نمط مميز وللرجولة وقوة الروح ولطف الجندي الوطني الذي يدافع عن بلاده...

اتجهت قصائده بعد هذا الديوان اتجاهاً فلسفياً تأملياً، وهي مكرسة، كلها، لتعميق المعرفة الإنسانية... فيها حكمة وفرح كبير متجسدان بألوان زاهية وايقاعات مرنانة... وحتى في أكثر أعماله درامية لايلتغي التناغم بين العقل والشعور.

أعماله الساخرة استمرار للكفاح من أجل رفع مستوى الامكانات الابداعية الأولية لدى الإنسان... اسلوبه واضح على عمق، وهذا من علامات النضج... وقد اعتبر شعره إغناء للتقاليد الشعرية لدى يافروف ودبليانوف..

كتب خانتشيف المسرحيات التالية: «الذهب» و «الخبز المسموم» (ترجمتها إلى العربية) و «كلاهما والموت» كما كتب العديد من سيناريوات الأفلام.

ترجمت أعماله الى لغات كثيرة... وهو حائز على جائزة ديمتروف.

جيل أم أجيال

إن الكلام على الأجيال في الثقافة وتحديد مراحل تطورها من الأمور التي تربك المتكلم، فالأجيال متواصلة ومتداخلة ومامن مبدع يبدع في مرحلة أو مع جيل ثم يكف عن الإبداع إذا جاء جيل جديد. . . إن الزاڤيتا باغريانا، على سبيل المثال مازالت متألقة منذ بداية القرن العشرين ومازال الناس كلهم معجبين بشعرها، فمع أي جيل يمكن أن نعدها؟ وعلى الرغم من تعقد المسألة فالمؤرخون يتكلمون على مرحلة ماقبل هذا الحدث التاريخي - الإجتماعي أو ذاك، وعلى مابعده. . وقد ذكرنا في أثناء الكلام على فيسيلين خانتشف أنه «برز شاعراً مرموقاً بعد التاسع من ايلول عام ١٩٤٤» وهذا التاريخ هو تاريخ مميز في بلغاريا إذ جاء مع انتهاء الحرب العالمية أو قبله بقليل، وقبل استسلام المانيا بقليل. . وكان اندحار المانيا في البلقان حدثاً كبير الأهمية، وكانت له خصوصيته في بلغاريا التي كانت من حليفات المانيا.

وبعد هذا الحدث السياسي - الإجتماعي استلم الاشتراكيون السلطة فتطورت الصناعة في تلك البلاد الزراعية الفقيرة واتسع انتشار التعليم وصدرت أمهات الكتب البلغارية والعالمية المترجمة بأسعار زهيدة جداً، ونشطت حركة التأليف والترجمة نشاطاً لم يعرف تاريخ بلغاريا له مثيلاً. وازدهر أدب الأطفال وأدب الفتيان ازدهاراً مدهشاً، كما نشطت الحركة المسرحية والسينمائية، وتقدمت الفنون الأخرى. . . وكان النهوض شاملاً كل مناحي الحياة.

لم تكن الحياة الثقافية تسير على خط مستقيم ولا على بساط من حرير. . . فالمشكلات كثيرة، وكثر المستفيدون من الكتابة من غير الموهوبين ومن مرددي الشعارات السياسية التي لارصيد جمالي لها ولاموهبة تدعمها. . . وكثر الذين يكتفون بتصوير قشور «الحياة الإجتماعية».

بوغوميل راينوف (١٩١٩) هو ابن الشاعر والمصور واستاذ الفن التشكيلي، وجامع الحكايات الشعبية البلغارية والعالمية نيقولا راينوف. . . ترعرع في وسط

رفيع الثقافة في كنف والده ووالدته التي أولته عناية كبيرة. تعرّف، منذ صغره، على خيرة المبدعين، ثقافة وفناً، في أوروبا. عمل في الصحافة والاذاعة. . نال درجة بروفسور في علم الجمال عام ١٩٥٤ . . . ينتمي إلى جيل شعراء مابين الحربين العالميتين، وبرزت مواهبه عشية الحرب العالمية الثانية . . . امتاز شعره باحتقار الرومانتيكية والميتافيزيقيا. . . سخر من الإفراط في العاطفية، والصنعة في الاسلوب. إنه شاعر المدينة، امتزجت جماليته بسخام المداخن، والغسيل على الشرفات، والأمطار، والزجاج المدخن، ورائحة البنزين، وبالأنتينات (الهوائيات) على الأسطحة، إذ كان الزمن يحتاج إلى شعر جديد.

روى في كتبه كل ماعرفه عن المدينة، كما روى طرائف طفولية وحوادث حدثت لأناس بسطاء فكسرت أحلامهم، وضيعت أوهامهم. . .

ومن ثم تحول عن الشعر تحولاً يكاد يكون كاملاً متجهاً نحو النثر. . . فكتب القصص القصيرة «الإنسان في الزاوية» و «مساء ماطر» و «شوارع ليلية». . . وفيها يكشف عري «جنة» البرجوازيين. . . واحدى قمم ابداعه قصته الطويلة «دروب إلى مكان ما» حيث يطرح طرحاً عميقاً مسائل أخلاقية- مأساوية المصير الإنساني، والشر العالمي، والشر الذي نحمله في نفوسنا. . . ثم جاءت أعماله التالية فكانت أعمق وأكثر أصالة. . . وتلتها رواياته البوليسية المميزة التي طرح بها مسائل سياسية على قدر كبير من الأهمية. . . وقد كتب الكثير منها.

وكان كتاب العمر في ابداع بوغوميل راينوف كتاب «الفانوس السحري» وهو دراسات رفيعة المستوى في الفن التشكيلي العالمي. . (ترجمتُ الكتاب وصدر عن وزارة الثقافة في (٦٠٠) صفحة من القطع الكبير. .

نيقولاي خايتوف (١٩١٩) هو الكاتب الكبير الذي لم يخطر له أن يصير ذات يوم كاتباً. . . ولد في أسرة قروية فقيرة وعمل صغيراً كما يعمل أولاد الفقراء في كل مكان من هذا العالم. . سرق التعليم من بين براثن الفقر. . . أكمل دراسته الثانوية طالباً حراً عام ١٩٣٨ ثم صار تقني غابات في صوفيا عام ١٩٤٣ ثم صار

مهندس غابات عام ١٩٤٦ ثم انتقل الى الكتابة مصادفة . . . أراد الاداريون له الأذى فدافع عن نفسه واكتشف فيه المحررون في الصحف «كاتباً مبدعاً» .

كان أول من صور منطقة جبال الردوب في الأدب البلغاري بكل غنى عالمها وقد أبدع في نقل هذا العالم بما فيه من إنسان وحيوان وشجر ومناخ ، خصوصاً في كتابيه «أوراق النيرية» و «أقاصيص متوحشة» أبطاله أحرار داخلياً وأقوياء ، إنهم شخصيات كاملة ، يتميزون بمواقفهم الأخلاقية الايجابية . متوحدون بالجبال والغابات وخايتوف هو شاعر الغابة في النثر البلغاري الذي استطاع أن يقيم التناغم بين الإنسان والطبيعة . . لقد جسد جمال البساطة الإنسانية البدئية رابطاً إياها بأحدث المشكلات المعاصرة . وقد حرص ، الحرص كله ، على ألاّ يقطع الخيط الذي يربط الماضي بالحاضر .

وأعاد كتابة سير الأبطال المرموقين- سادة الجبال الطلقاء ، المناضلين منهم والعصاة . . وكان لقرية ياڤروڤو - مسقط رأسه - مكانها بين سير الأمكنة المحببة إليه .

جاء كتابه «الوردة الشائكة» (وترمز إلى الحضارة المعاصرة) دعوةإلى تناغم وجود الإنسان والكائنات والطبيعة ، فالاخلال بالتناغم بين الإنسان والطبيعة ليس كارثة ايكولوجية فقط بل هو علامة من علامات ضمور الروح فالاغتراب .

كتب خايتوف مقالات كثيرة في مسائل ثقافية واجتماعية ولغوية وأسهم في تطوير الدراما البلغارية ، فمسر حياته التاريخية والمعاصرة موجهة إلى ترسيخ الطابع القومي في المسرح . وهويواصل في مايبدعه إغناء تقاليد أكثر المبدعين البلغار موهبة . . . وقد حول عدد من قصصه إلى أفلام سينمائية لاقت نجاحاً كبيراً في بلاده وفي العالم . . . من أشهرها «نهاية الأغنية» و «عالم مرقش» و «قرن الماعز» و «شجرة بلا جذور» و «أزمنة الرجال» .

ترجمت أعمال خايتوف إلى لغات عالمية كثيرة . . وترجمتُ مسرحياته «زورق في الغابة» و «دروب» و «الكلاب» وترجمت أيضاً كتابه «أقاصيص

متوحشة» إلى العربية . . . نال خايتوف جوائز كثيرة، أهمها جائزة ديمتروف عام ١٩٧٦ .

ليدا ميليفا ١٩٢٠ ابنة الشاعر غيوميلف . . انهت الدراسة في دار المعلمين في صوفيا عام ١٩٤٠ ، ثم رئست قسم الأطفال في اذاعة صوفيا وعملت في هيئات تحرير الكثير من الصحف والمجلات . نشرت قصصاً ومسرحيات للأطفال إذ ساعدها العمل في ميدان التربية على الدخول إلى عالمهم، فصارت أبرز كتاب الأطفال في الأدب البلغاري المعاصر .

أهم الموضوعات في شعرها موضوعات السلام والصداقة بين أطفال العالم . . وقد أحب الأطفال قصائدها ورددوها .

استطاعت في قصصها عن الحيوانات أن تشبع فضول قرائها الصغار . . وعملت في مقالاتها على معالجة مسائل الأطفال وشتى الفنون الموجهة لهم .

أغنت المكتبة الطفلية في بلادها بما ترجمته من قصص وحكايات شعبية روسية وانكليزية .

ترجمت أعمالها إلى لغات كثيرة . . . وترجم بعض قصصها وقصائدها إلى العربية .

الكاتب الساخر ڤاسيل تسونيف ١٩٢٥ عميق الإحساس بتناقضات الواقع . . لحظ عيوب البيروقراطية في مجتمعه فأشهر ضدها قلمه . . نشرت مقالاته التي تظهر بعد المسافة مابين الشعارات الجميلة والممارسات القبيحة، وأذيعت في الاذاعة وفي وسائل الإعلام الأخرى .

كتب تسونيف أكثر من (٢٥٠٠) اقصوصة ومقالة كما كتب سيناريوات للسينما منها «أبي ماسح أحذية» (١٩٧٢) و «اديوس موتشاوس» (١٩٧٧) وغيرها الكثير .

يؤكد تسونيف ايمانه بجمال المثل الأعلى الإنساني في كل مايكتب من خلال انكاره ماهو سلبي ومتخلف . . . وتكون سخريته موجعة وكاشفة . يدافع عن قيم الإنسان وجدارته ويريد له أن يكون ابن عصره . ترجمت أعماله إلى أكثر من لغة . وقد ترجمت بعضاً منها ونشر في الصحف العربية .

أما جورجي جاغاروف (١٩٢٥) فهو رجل متعدد جوانب الابداع الأدبي . . شارك منذ شبابه في الكفاح ضد الفاشية فحوكم وسجن . . نشر أعماله أول مرة عام ١٩٤١ . . درس الأدب في معهد غوركي في موسكو . عمل محرراً في جريدة «الجبهة الأدبية» وكتب مسرحيات لمسرح الشعب للشبان . . احتل مناصب سياسية واجتماعية رفيعة . . .

عبر في شعره عن الظمأ الى الحرية وعن الرجولة في المواقف . وقد ظهر ، منذ قصائده الأولى ، شاعراً متحمساً لقضايا العصر الكبرى . . قصائده رجولية الايقاع . . أما مجموعة قصائده «في لحظات الصمت» فهي علامة بارزة على طريق تطوره الشعري . ففيها جسد الأفكار التي تثيره وتثير المجتمع . . غنائيته غنية المحتوى ، وشعوره رفيع بالواجب ، وهو حريص على النقاء الأخلاقي وعلى ضرورة الصلابة الفكرية والإنسانية لدى المناضل . ويعد من هذا الجانب بين أبرز شعراء «الواجب المدني» .

تحول الشاعر إلى الكتابة الدرامية . . . صدرت مسرحيته الأولى «الأبواب تنغلق» وكان موضوعها المحوري «النقاء الأخلاقي» ثم جاءت مسرحيته الثانية «وغداً يوم» فكانت ذات موضوع معاصر عكس فيها وجه التحولات التي حدثت في بلاده .

أما مسرحيته «المدعي العام» فقد لقيت النجاح الأكبر وتجلت فيها سماته مبدعاً ومواطناً .

ترجمت قصائد جاغاروف إلى أكثر من عشر لغات منها اللغة العربية . .

(ترجم حسين راجي «قصائد مختارة من شعره» ومثلت «المدعي العام» في عواصم غربية كثيرة).

نال جائزة ديمتروف عام ١٩٦٦ .

بين العقل والشعور

بلاغا ديمتروفا (١٩٢٥). . . قال أحد النقدة: «في بلاغا ديمتروفا شيء ماحلمي. إنها في الحساب الأخير رومانتيكية» ويخيل لي أن ذلك الناقد لم يقرأ قصائد الشاعرة كلها، أو أنه قرأ كتابها «إلى الغد» ثم خلص إلى مثل هذا الاستنتاج. .

ديمتروفا مسافرة، أبداً، في الزمان والمكان، وهذا أحد جوانب موهبتها الشعرية، لكن سفرها هادىء، بلا صخب، ولايحدث تحت ضغط دم «متشرد». . . بل طبيعتها هي التي تدفعها إلى سفر جديد، سفر فيه من التأمل أكثر مما فيه من التوق. وكثيراً ماتأوي إلى عالم الطفولة، حيث الأشياء التي لاتموت، وحيث الذكريات. . . فهذه الشاعرة لم تجد السكينة منذ زمن طويل. . وهي تبحث عن احساسات قوية، عن لقاءات جديدة مع مدن قديمة أو مع أناس قادمين على متن الحياة نتيجة لكفاح ما أو لثورة. وروحها، بهذا المعنى، شابة، محبة للبحث، ويمكن أن يقال: «ليست فيها قطرة واحدة من الدم القديم». إنها تحب أن تحيا الجديد، وأن تلتقي الوطنين الكوبيين المكافحين، والفيتناميين المقاتلين في سبيل الحرية، وتحب اللقاءات الثقافية الدولية، وقد أفرحها كثيراً اللقاء مع سارتر ومع ليونوف.

تربط بلاغا ديمتروفا صداقة حميمة مع الزاڤيتا باغريانا، لكن شعرها مختلف عن شعر باغريانا اختلافاً كبيراً من حيث الصوت الداخلي، وأسلوب الأداء الشعري. إنهما نقطتا انطلاق مختلفتين «جمالياً» لتطور متناقض في الشعر. وعلى الرغم من صحة هذا، عموماً، فإن ديمتروفا تمت بصلة انتماء الى باغريانا، فكأنما هي احدى جدات جدتها شعرياً في التقاليد الأدبية، أو كأنها تلك الساحرة المهيمنة على المشاعر النسائية في الفن. ففي العقود الأخيرة من السنين عبّدت باغريانا

الطريق إلى النساء الشواعر جميعاً . . لقد اكتشفت ألدورادو الشعر النسوي، وانجزت ثورة هادئة في الأدب البلغاري لكنها ثورة عميقة الأثر، وقد أثبتت بمثالها الشخصي أن المرأة يمكن أن تكون موهوبة في تفردها الابداعي. وقد مضت قدماً في دربها مرسخة مكانة الشخصية النسائية، وضاهت كبار الشعراء في زمنها. ويصح فيها، أكثر مما يصح في سواها، القول إنها «ماء الحياة للشعر» بل إن شعرها ينبوع يشفي من أوجاع ماهو يومي، ويحرر من قوقعة الأمور الصغيرة، ويحدث كل ذلك كما في الحكايات، فثمة ماهو سحري، ماهو طازج، أو مايشبه شراباً يحمل النار إلى العروق. . . لقد أعلنت حرباً على العقل الجاف. . وقدمت باعتداد حقيقتها الأنثوية. لقد تفتحت مثل لون حاد على خلفية سماء شعر بلغاريا الفيكتوري. . . فحتى وقت قريب كانت المرأة البلغارية «بيتوتية جداً» أي ربة بيت وحسب، أو كانت ضرباً من «بنلوب» ضجرة. ومع باغريانا اندفعت في اتجاهات كثيرة، صارت رفيقة أسفار «عوليس» الرجل. . . بل انقلبت المعايير، إلى حد ما، فصار بعضهم يتكلم على «سقوط الرجولة».

لم يكن لبلاغا ديمتروفا دور كدور باغريانا في الشعر البلغاري لكنها أسهمت اسهاماً كبيراً في تطور هذا الشعر. فهي قد أبرزت في شعرها المرأة البلغارية لا ككائن عميق العاطفة (الأمر الذي نعرفه منذ زمن بعيد). . ففي شعرها نحس رقة النفس الانثوية وطموحها إلى أن تفكر بطريقة مختلفة عن طريقة تفكير الرجل. إنها تبحث بهدوء وبدأب عن التحرير «العقلي» للمرأة، لتدخل في مباراة هادئة مع الرجل. ويظهر ذلك في شعرها وفي نثرها. لقد حصلت على تربية رفيعة وعلى ثقافة شعرية كبيرة، وعلى عقل تحليلي. إنها محلل يحدّق إلى نفسه باحثاً عن نموذج لحاضرنا. وشعرها، في السنوات المتأخرة مفعم بالتعمق في الذات من أجل اكتشافها أو أنه، كما قالت في روايتها، «السفر إلى الذات».

إن فرادتها تكسر ايقاعات العصر وتحولها إلى ايقاعات لمصيرها الانثوي. تريد أن تكون حيثما تكون الحياة، والتناقضات، والأفكار. لقد كتبت قصائد حب

جميلة، فيها سر الفرادة التي لا تتكرر وإن خلت من سحر الاكتشاف. إنها تخاف المهارة الاسلوبية، والقيم الجمالية المحنطة في المتاحف الفنية، لكنها قد تضطر إلى قطف الأزهار التي لاتثمر للفكر الجاف.

ومع الزمن يزداد اهتمامها بذاتها، تعيد اكتشافها . . . وهي ذكية ومثقفة وكثيرة التطلعات، وتعرف أن عليها أن تختلف عن باغريانا، وأن تسير في طريق أخرى . . . عليها أن تتطور كمبدعة فلا تكرر أغنيات باغريانا التي كتبت على نحو خاص لا يتكرر . . . ومن هنا ندخل معها في فضاءات الفكر أكثر مما ندخل في فضاءات الأحاسيس. وليست هناك شاعرة أخرى لديها مثل هذا الاهتمام بمسائل الروح التي كانت في ما مضى محل اهتمام الرجال وحدهم. إنها تجهد كثيراً كي تجسد ماتريد . . . وتتنفس مجهدة تحت درع فروسيتها . . . وموهبة التجسيد هذه هي موهبة نسائية صرف تستطيع أن تحول الخاطئة إلى قديسة.

لديمتروفا كتب شعرية كثيرة ورواية واحدة، وهي تجربة حادة، ذات وجه ابداعي كامل . . . والشاعرة تسهم منذ عقود في الأدب البلغاري، وليس لها مثيلة، من حيث الدأب، بين الأديبات في بلغاريا . . . قد تبدو لنا عناصر ما من روايتها ساذجة، لكن الرواية بكاملها اضافة ثمينة إلى الأدب البلغاري . . وطريقتها في الكتابة تضطرنا إلى النظر إلى الأمور من زاوية غير تقليدية. إنها تعالج المسائل بمزيد من التأمل وبمزيد من العمق. وهي تسافر في الزمن، تتقدم أو تعود إلى الطفولة، إلى تلك المملكة الضائعة . . فهناك الينابيع الدهرية للإنسان، هناك ينابيع الشعر الصافية.

يعرف الأدب العالمي الكثيرين من الفاتنين المدهشين المسافرين في الزمن وفي عالم الطفولة، لكن أكثرهم من المنفردين الحزينين الذين يجهدون كي يعيدوا صورة الطفولة الضائعة أو وجه «الابد المثير» . . وقد انشغلت الحضارات كلها بهذه المسألة التي نراها في صمت أهرامات مصر، كما يمكن أن نراها في مشاعر الإنسان المعاصر.

بلاغا ديمتروفا تلامس في بعضٍ من قصائدها، وفي روايتها مسألة الزمن، لكن إحساسها بالزمن ليس احساساً مرضياً. إن رجوعها على درب الزمن الراجع هو رجوع مشروع. فهنا رجوع الى الطفولة، إلى العالم المفقود. . . أما في قصائدها فكان رجوعها تأبيناً لوالدها. إنها تقدم لنا صورته، ترسمها ملمحاً إثر ملمح، باعثة وجهه الضائع من العدم. . . وعبر الأب تنبعث صورة الابنة الشاعرة. نحن لانعرف الأب، لكن الفن الشعري يوحي لنا بصورته، ونحس في كل مكان حضوره غير المرئي.

إنها ترسم لنا بحب ودفء ورقة لوحة طفولتها، تحملنا الى عالم أخلاقي صغير. . . فهنا نالت الحق في أن تكون ماهي عليه. . . هنا شيطنات الطفولة، والبالون الأزرق الصغير، والتهاب اللوزتين، وزيت السمك المثير للغثيان، وأول تشكل لتطلعاتها الأخلاقية. إنها المدرسة الإنسانية الأولى، الساذجة. لكن لهذا العالم جدراناً من كرتون تدمرها الحياة، بعد وهلة، بقسوة.

وديمتروفا تهزنا بجميل قصائدها، تهزنا بسحر شخصيتها، وببوحها، بطابع شعرها البوحي الغامض. وهذا الطابع البوحي لابداعها الشعري يكتسب، مع الزمن، طابعاً دراميـاً. وهذا يشير إلى أننا نجد فيها أهم شخصية في الشعر البلغاري المعاصر.

ملحوظة: (اعتمدت، أساساً، في كلامي على بلاغا ديمتروفا، أكثر ما اعتمدت، على مقدمة كتبها زدرافكو بيتروف لقصائد مختارة من شعرها صدرت عام ١٩٦٨ في صوفيا – م.ع).

نحو مزيد من الرحابة

في عام ١٩٢٩ ولد يوردان راديتشكوف. . عمل محرراً في الصحف والمجلات وفي مؤسسة السينما البلغارية ومستشاراً ثقافياً في مجلس الدولة. . . بدأ ينشر المقالات والريبورتاجات ثم شرع ينشر القصص القصيرة فلفتت قصصه الأنظار بطابعها الغنائي وعفويتها. . ثم بدأت الغنائية تمتزج بالسخرية. .

جسد في قصصه وأقاصيصه المسائل الأخلاقية والجمالية ومع الأيام صارت ألوانه أكثف فأكثف. . طوّر ميراث الكتاب الكلاسيكيين البلغار من أمثال ڤازوڤ وايلين بيلين باتباعه وجهة نظر الحركة الفنية الأحدث.

تمتاز أعماله بتطور تشكيلها اللغوي مما يغني القاموس الفني، فنثره استمرار لأغنى أساليب النثر الفني في بلغاريا. .

كتب الكثير من المسرحيات، وكان في المسرح كما في القصة القصيرة، مرهف الإحساس وبارعاً. . ترجمت مسرحياته إلى لغات كثيرة ومثلت على مسارح شتى في أرجاء المعمورة.

ترجم الأستاذ وليد القوتلي عدداً من قصصه وأقاصيصه، ومسرحيتيه الجميلتين «كانون الثاني» و «محاولة طيران» وقد أخرج المترجم نفسه «كانون الثاني» وعرضت على مسارح دمشق وغيرها.

وفي عام ١٩٢٩ ولدت ليليانا ستيفانوفا في أسرة معلم عرف بنضاله ضد الفاشية. . . عملت في الصحافة وفي المسرح. . . درست الاخراج المسرحي في موسكو ثم درست الأدب في معهد غوركي، وعادت لتعمل في الأقسام الثقافية في الصحف والمجلات.

نشرت قصائدها الأول عام ١٩٤٥ . . . فكانت شاعرة الواجب المدني والفاعلية الإجتماعية. من أشهر كتبها «العالم الذي أحبه» و «لاترحل أيها النهار» و «حب وعذاب» و «صوت من المستقبل» و «الشمس تقبّلني» تسجل فيها مرحلة من مراحل تطورها الإبداعي. . . تمتاز الشاعرة بالتنظيم الحر والشجاع للقصيدة.

جاءت كتبها الأخرى لترسخ ماأنجزته ثم تتجاوزه، في صعودها نحو التصادمات الدرامية للعالم الروحي المعقد.

ابداعها أصيل وعميق، ومرتبط بقضايا العصر. ترجمت قصائدها إلى ١٩ لغة. . وترجم حسين راجي كتابها «لا ترحل أيها النهار» الى العربية. . كما ترجمت قصائدها للأطفال والراشدين إلى العربية من قبل مترجمين آخرين.

من الشبان الذين بقي شعرهم فتياً ونضراً الشاعر فلاديمير باشف (١٩٣٥-١٩٦٧). . . لقد اجتاز فضاء الشعر مثل نيزك شديدالوهج. . . وكان جم النشاط. . درس علوم اللغة البلغارية وعمل محرراً في الصحف والمجلات ثم هلك في حادث مؤسف.

شعره مفعم بحماسة الشباب وتوقده. . شغلت قضايا الحياة شعره ومقالاته، وجسدت قصائده تناقضات القرن العشرين ومشكلاته. . بطل غنائياته بعيد عن الركود وعن ضيق الأفق والأنانية. . . يحدد التوهج الداخلي ملامح صورته.

أفاد من منجزات الشعر العالمي فجدد تقاليد الشعر البلغاري.

كتب الاوبرات والمسرحيات والأغنيات. . . وترجم مختارات من شعر يفتوشنكو، وفونيسينسكي، ولوكونين، وفينوكروف، وشتشباتشوف، وسفيتلوف وغيرهم وغيرهم.

نال جائزة ديمتروف بعد الوفاة عام ١٩٦٩.

وليوبومير ليفتشيف (١٩٣٥) هو أيضاً من هذا الجيل المتقد حماسة. . . ولد ليفتشف في أسرة طبيب في صوفيا. . درس البيبلوغرافيا والمكتبات.

امتازت قصائده بفرادتها منذ البداية فهي مرتبطة بالشعب وأصيلة وحماسية، نحس في أسلوبها شيئاً من تأثير ماياكوفسكي، ونيقولا فابتساروف، وبينيوبينيف.

في ديوانه الأول «لي هي النجوم» برزت الايقاعية المميزة، وحدّة الطبع والجرأة. ثم جاء ديوانه «شعر» خطوة هامة على طريق تطور هذا الشاعر الذي كأنما كان يحاور زمانه. . . وصدر له ديوان آخر أكثر تطوراً. . . وقد جارى فيه شعراء عالميين مرموقين.

يمتزج الوطني بالعاطفي الشخصي في شعره، ويبدو بطل قصائده ملتحماً بزمنه، وبكوكبه، ويعنيه مايلحق بالناس من ألم وفرح.

تظهر حداثة الشكل في قصائده ملتحمة بعاطفته وفكره.

ترجمت قصائد كثيرة من شعره إلى لغات كثيرة وترجم له حسين راجي مختارات شعرية وترجم الدكتور أحمد سليمان الأحمد ديوانه «لي هي النجوم».

نال جائزة ديميتروف عام ١٩٧٢.

داميان داميانوف (١٩٣٥) عاش حياته متألماً وأفرح بشعره الناس. . . ولد داميانوف في مدينة سليڤن وأكمل فيها دراسته الثانوية ثم درس علوم اللغة البلغارية في صوفيا.

نشرت قصائده الأولى عام ١٩٤٩. . . وامتاز شعره بتعبيره عن شعوره بالمعاناة الشخصية وعن حبه للناس، وحب المأثرة. جابه قسوة الحياة وأوجاعها متسامياً فوق الألم والاعاقة الجسدية. وماانفك أفقه الأخلاقي - الجمالي يتسع راسماً لوحات تصور بعمق وشفافية كنه الكينونة الانسانية.

من سمات أبطال غنائياته النبل واللطف والود والحب الدافىء، وحساسية الضمير ويقظته. . . وهو في أكثر قصائده يتجه إلى الواقع والبساطة الحكيمة، وإلى النقاء الشعري والصدق وتناغم الفكر والشعور.

ترجمت قصائده إلى لغات عالمية كثيرة.

وأصل إلى المحطة الأخيرة في هذا العرض السريع. . إنه الشاعر يوردان ميليف (١٩٣٨) أحد الأصوات التي ربطت ربطاً وثيقاً ماضي الإنسان بحاضره، مزج الشعر بتراب الأرض فأعشبت وأزهرت. . . لقد درس الشاعر «تقنية البناء» ثم درس الصحافة في صوفيا عام ١٩٦٥ وعمل في الصحافة والإذاعة. . .

كان له فضل تعريف القارىء البلغاري على شعر الشرق إذ ترجم قصائد مختارة من شعر غفور غلام، وقصائد من شعر زولفيا، وغنائيات حافظ، ورباعيات عمر الخيام، كما ترجم قصائد لشعراء شرقيين من العصور الوسطى. .

أما شعره فقد ترجم إلى لغات كثيرة. . . وترجمت إلى العربية كتابه «عشق الألوان». . .

* * *

ويتنابني شعور بالحرج. . . أذكر قول الشاعر «ذكرت شيئاً وغابت عنك أشياء. . . وتمر ببالي أسماء ترجمت شيئاً من نتاجها. . . اذكر ران بوسيلك كاتب الحكايات الساحر، وأسن بوسيف مدهش الصغار والكبار بأغانيه وتلاعبه بألفاظها لتناسب جو الحكايات التي يحكيها والتي تذكرنا بالسجع العربي الطريف السلس الذي يأتي رشيقاً وعفو الخاطر فيصنع للنص أجنحة ولا يكون عبئاً على المعنى.

وتنفتح في ذاكرتي نوافذ ملونة على عوالم قصص الأطفال التي ترجمتها وهي من تأليف أناستاس بافلوف، وانستاس ستويانوف، وسلافتشو انغيلوف، والكاتب المرموق اميل كورالوف، والموهوبة المتواضعة داريا تاباكوفا، وديمتر غوليف، والمدهش كامن كالتشف، والحكيم غيورغي رايتشف، وتسفيتان انغيلوف، وليوبن ديلوف، وصاحب كتاب «الأرنب قصير الأذن» كيريل آبوستولوف، وجيورجي سترومسكي. . . وغيرهم. . .

وأعود بالذاكرة من عالم الطفولة إلى عوالم الشعر والقصة: ديميتر بانتلييف، أنجل تودوروف، الكسندر غيروف، فاتيور اكوفسكي، وبافل ماتيف وماركو مارتشيفسكي، وتينيوتونتشف وغيرهم. . .

ويداهمني سؤال: هل كنت منصفاً في ماأصدرت من أحكام قيمة، وفي ماأبرزت من أسماء. . . وفي. . . وفي؟ وأشعر أن يدي ترتعش ويعتريني الوجوم. . . فليس لمثلي أن يبت بمثل هذه الأمور. . . فهي تحتاج الجهد يقوم به أكثر من دارس متخصص موسوعي الثقافة. . . وتبقى مسألة تباين زوايا النظر والأذواق قائمة. .

وتحين مني التفاتة إلى مكتبتي فتقع عيني على اسم كاتب الأطفال الذي ترجمت العشرات من أقاصيصه. إنه رادوي كيروف الذي أغنى مكتبة الطفل البلغاري بقصصه، وإلى جانبه يقف ميتكوياڤورسكي وفريان ستاماتوف فازداد ارتباكاً. . . واسأل نفسي: وماذا عن المسرح البلغاري؟ وهل أخرجته من عالم الأدب؟

لقد وضع مرسخو النهضة البلغارية الأسس المتينة للنهوض بأكثر الأجناس الأدبية تنوعاً . . . كانت ثقافتهم شبه شاملة، وكانت بلادهم محتاجة إلى كل شيء فرأوا أن من واجبهم أن يقدموا كل مالديهم لذويهم . . . وكبرت الشجرة وتفرعت . . . وظل بعض الكبار يبدعون في أكثر من ميدان . . . ثم تنوعت التيارات في اطار الجنس الواحد . . . وفرض التخصص «الضيق» نفسه . . . ونشأ جيل من المختصين بالمسرح، فإذا كان الآخرون يكتبون للمسرح على هامش مايكتبون، فإن هذا الجيل صار يكتب في الميادين الأخرى على هامش مايكتبه للمسرح .

وتطورت صناعة السينما كما تطور فن الاوبرا، والفن التشكيلي، وشهدت الترجمة نشاطاً مذهلاً فعجّت المكتبات بالكتب المترجمة من كل جنس، وصار بوسع المرء أن يطلع على خيرة ماأبدعته العبقرية الإنسانية في الفكر والفن باللغة البلغارية .

أما في الزمن الأخير، زمن الانهيارات المريعة، فيسود الساحة الثقافية البلغارية ارتباك واضطراب . . . لقد انفلتت بقوة النوابض التي كانت مشدودة جداً، وقيل الكثير من الكلام غير المتوازن، بل قيل الكثير من الكلام المقذع، وانسحب كبار المبدعين مبتعدين عن وحل الشتائم، وانقطعت أخبار الكثيرين منهم عني، فالهموم الثقافية ماعادت تهم الكثيرين . . . إنه زمن الشد المضاد، وقد يكون من نواميس الحياة أو من ظاهراتها المألوفة أن يأتي الارتخاء بعد الشد ثم يعقب الشد الارتخاء إلى أن يقيم العقل التوازن المرغوب به . . . وآمل ألا تطول فترة الهرج السائد هناك .

المراجع

اعتمدت أساساً على المراجع التالية :

١ - قاموس الثقافة البلغارية - ثلاثة أجزاء ، صادر عن أكاديمية العلوم البلغارية عام ١٩٨٢ - غير مترجم .

٢ - ايفريم كارانفيلوف «بلغاريون» صادر عن دار نشر «شبيبة الشعب» في صوفيا - عام ١٩٨٠ - غير مترجم .

٣ - «تاريخ الأدب البلغاري» في أربعة مجلدات ضخمة - صادر عن أكاديمية العلوم البلغارية - غير مترجم .

٤ - أعمال ايلين بيلين الكاملة في ٦ مجلدات - دار نشر الكاتب البلغاري . .

٥ - أعمال يوردان يوفكوف الكاملة في ٦ مجلدات - دار الكاتب البلغاري .

٦ - بيوياڤروف - قصائد مختارة - الكاتب البلغاري .

٧ - بنتشوسلافيكوف - قصائد مختارة - الكاتب البلغاري .

أما المراجع الأخرى فقد أشرت إليها أو إلى أكثرها في متن المقدمة .

خريستو بوتيف

(١٨٤٨- ١٨٧٦)

وطني

وطنيّ هو- يبذل الروح
للعلم والحرية،
لاروحه هو، أيها الأخوة،
بل روح الشعب!
وكل خير فيه، وتعرفون،
يساوي النقود
وماذا في وسعه؟
إنه يبيع روحه

* * *

وهو مسيحي جيد:
لاتفوته صلاة.
وهو يذهب إلى الكنيسة
فهي تجارة
وكل خير فيه
يساوي المال
وهو من أجل المال
يرهن زوجته

* * *

إنه رجل طيب القلب
لايترك الفقراء
لكنه لايطعمكم، ياإخوتي،
بل أنتم تطعمونه بعملكم! .
كل شيء عنده يساوي المال
ومن أجل المال
يأكل لحومكم... وماذا في وسعه؟

ايڤان ڤازوف
(١٨٥٠- ١٩٢١)

زهرة الثلج البيضاء

زهرة الثلج البيضاء
أيتها الزهرة الجميلة،
أحبك
ياهبة الربيع
وابتسامته العذبة
في هذه الساعة المبكرة!

* * *

بزغت في أيام عاصفة
لكن السماء لازوردية
فهل تحلمين مثلنا أيتها الجميلة
بالأيام السعيدة القادمة
وهل تشاركيننا المشاعر ذاتها؟!
إننا نحلم برؤية الربيع
يولد أمامنا
فيروي عطشنا
إلى الجمال والفرح..
نحلم بالانعتاق
من كابوس الهموم

الجاثم على صدورنا
وبولادة فجر جديد
يغمر منازلنا بالضوء والسعادة!

* * *

نحلم بالفرح والحب
وبحياة خصيبة
فنبني بهذا الرماد
مستقبلنا المجيد
ويكون لزاماً
أن نرى نهاية هذا الألم المزمن!
نحلم بزند شجاع
يمتد من قلب الظلام
شاهراً سيف العدالة والسلام!

* * *

نحلم
برؤية الأفكار مزدهرة
تبدع عالم الحرية والأحرار
إن طلعتك
يازهرة الثلج البيضاء
يابشيرتنا بالربيع
تلهمنا النقاء والمهابة
وتجعلنا أكثر إيماناً بالحق
وأكثر تقديساً للجمال!

* * *

نحلم بك ومعك

بحياة لاخريف فيها
ولاشتاء
تظل ربيعاً دائماً
فلا عذاب ولاشقاء!

* * *

زهرة الثلج البيضاء
يامن رأيتها في هذه الساعة المبكرة.
أيتها الزهرة الجميلة
أيتها الزهرة اللطيفة
أحبك..

شباط ١٩١٦

شتاء

الشتاء . . .
الثلج على نافذتي
يرسم لوحة متوحشة
وأنا وحيد
أحلم بك

* * *

الثلج يتساقط
في باحة الدار
والربيع في نفسي

* * *

أين أنت ياحبيبتي
فأنا أكتب اسمك
على زجاج النافذة المتجمدة .

عينان

أود لو أسبر أعماقك بنظرة
لكن المعبد مقفل ياحبيبتي .
أود لو أناديك
عبر نافذة قلبك
لكن قلبك لانوافذ له .

* * *

لم يبق سوى عينيك وحدهما
أرى فيهما
في هذه المرآة الحية
أمانيّ وأضواء ممراحة . .
أحس روحاً . . وأرى قلباً .

* * *

أي ألم غريب
حين لاتكونين قربي !
يبرح بي الشوق إلى عينيك
ففيهما شموس
تنير ظلام حياتي .

بيو ياڤروڤ
(١٨٧٨- ١٩١٤)

بشارة

نسمة بَرود من جناح ملاك
ياللملاك، ياللطفل،
نسمة عطرة من جناح ملاك
تهب على جبيني في القيظ
يهبط عليَّ حلم ولاأروع . . .
الفجر ينبلج في الخارج .

* * *

نغم مجهول في الليل،
ياللأغنية، ياللطفل،
نغم ساحر في الليل
ماأروع! وتتدفق الفكرة!
الفجر ينبلج متجدداً في الخارج
ويحمل الرنين محتفياً . .

* * *

تتعذب روحي وتصمت
ياللدمعة، ياللطفل،

روحي تؤسر وتصمت-
وبهدوء تذرف عيناي الدمع :
اسمع الرنين الاحتفالي محتفياً
في الحلم الصباحي- وأسفاه
في الحلم. . .

ستكونين في الأبيض

ستكونين في الأبيض- مع غصن زيتون
كملاك في لباس أبيض.
افكرُّ اليوم: لن يهترىء العالم شراً
مادام موطناً لك.
وهاأناذا ارتبتُ أخيراً
بالشك المخيف، أريد سلاماً.

* * *

سأفتح أحضاني بإيمان،
محدّقاً إلى عينين عاشقتين.
وسأرتشف، هادئاً، أشعتهما،
سأرتشف النور، جرعات علاجية.
وسأستدير مُضاءً لأرى
العالم كله في اليوم المتوهج!

* * *

ثم فليبدُ مدمراً!
(الم أتعثر غير مرة في الخراب
شارداً في ظلمات منتصف الليل؟)
ولقد وجدت حينئذ
اندفاعات أخلق منها
عالماً لكلينا، وكوناً، ومعبداً.

عرّافه

روحي أسيرة مذعنة
أسرتها روحك! - أسيرة ،
روحي في عينين هادئتين .
روحي تستعطفك مطأطئة :
هي تستعطف ، وأنا أنظر اليك- مضى قرن . .
روحك العرّافة تصمت .

* * *

روحي يعذبها الجوع والعطش
ولاتستجيب روحك ،
روحك طفل وألوهة . .
الصمت مهيمن في عينيك!
قد تكون روحك خجلى
باحتفالها السحري .

خاتم له ياقوتة

حلمك أمة مفتونة
لروحي التي تناديك،
ستأتين إلى آخر صحراء العالم،
حيث المهاوي المسوّرة، والقمم.

* * *

في مثل نقاء كريستال الأعالي الزرق،
وجدتك الأحلام الظماء نائمة-
في حلم سنواتك الست عشرة
روحك تلسع وتخطف.

* * *

فوق، المهاوي، والذرا، والمسافات القصية
يطير حلمك- يطير في نوم يقظ-
وأسمع أنا، في ليل التعاسات المظلمة
الرنين الملون المنقذ.

* * *

ستأتين، فجر البراءة المظفّر،
في رداء من حيائك العطر،
وستكون ساعة البوح الأخير،

الانسباك في حلم سحري .

* * *

تنثر روحي الجمان عليك ،
وستكونين وردة ، وأكون شهر أيار
وسنشتعل في حلمنا-
ونجد خاتمة مثل دخان في السماء .

الخمود

إلى ب. بينيف

تغفو المياه الأبدية، مياه لاضفاف لها، لاقعر
لكن لاتتمرأى فيها السموات المنجمة،
ونخوض حولها مؤرقين،
ونرتعش أمام أعماقها الصامتة

* * *

تغفو المياه الأبدية، مياه لاقعر لها، لاضفاف
لاتنحني فوقها آفاق جهمة . . .
ونصوّب نظرة غير آملين
ونرتعش أمام ألغازها المعتمة .
أمام المياه الأبدية، المياه الأبدية، - الكريستالية،
لاقعر، لاضفاف، المعتدلة تماماً . .
لكننا نخاف أن نشرب، نحن - المعذبين
المؤرقين، القانطين، الظامئين .

الأرعن باقليتا
وباقليتسا الصبية

قبل أن يترجل عن حصانه الكميت
قرع الباب أرعن مجهول،
قرعه مرة واثنتين وصاح منادياً:
«هل تنامين، استيقظي، افتحي ياأغليكا!»
- من؟ مِن باقليتا وحتى اسطنبول
أحمل الكثير من التحيات، ياجميلتي الصبية»
الشيطان المخاتل يختبىء في صدر رجل:
ارتعش صوت واضح ولم يُعرف.
- خطاة ملاعين نهضوا من القبر،
وسيئو النوايا يطوفون في الهزيع المتأخر،
امض في طريقك، هل تسمع، أيها الرجل!
أم أدعو اخوتي؟

* * *

برقت نظرة صقر، ابرق الجنون،
صاح المجهول من صدره الأرعن:
«لو قبّلتُ الأبواب لاندلع اللهيب،
افتحي لي ياحبيبتي! أم أنت من حجر؟»

* * *

والقلب يرقص، ومن عجب أن ظل في الصدر

يرتعش صوت واضح ولا يُعرف .

* * *

وتهمس أغليكا مثل ظامئة
وراء الباب المصفح وتجيب مسرعة :
- أيها اللعين ، فليكن للكذب معيار :
إن كنت باقليتا فكيف اتيقن؟
«أسير طوال خمسة أعوام . . تنيرني على الدرب
عينان سماويتان تحت حاجبين مقوسين»
- هذا تعرفه قريتنا كلها .
وأياً كنت ، فالضوء لباقليتا !
«النرجسة البيضاء - على وجهك
والقامة - الحورة - الوحيدة في المرج»
- أعنهما . . كم من المجانين قد جنوا
وأكلوا الثريد الحارق على عتبتي !
«وعلى يسار الصدر شامة مخملية . .
فمنذ متى الاكليل فوق الشامة؟
الليلة الأولى ياأغليكا ! الأولى والأشهر ،
ألم تبق ندبة على الشفة من حينها؟ . . »

* * *

صر الباب الثقيل ، أجفل الأرعن ،
وتعلقت الحبيبة بعنق الفتى .

الأرمن

منفيون بائسون، بقايا دمار
شعب معذب كان دوماً شجاعاً
أبناء أم- أمة مروّعة،
وضحايا مأثرة عظيمة مشهودة-
بعيداً عن الوطن، يتجمعون في مناطق غريبة،
مرضى شاحبين، مُهلك تشردهم،
يشربون، وتغرق قلوبهم في الجراح،
ويغنون، كما يكون الغناء خلل الدموع.

* * *

يشربون . . يريدون بالسكر أن ينسوا
عذابات الماضي ومصائب الحاضر
يريدون اغراق الذكريات في النبيذ الفائر
ستغفو الروح المريضة في الصدر المحطم،
وسيثقل الرأس، وحينئذ سيختفي منه
وجه الأم المعذبة
ولن تُسمع في نسيان السكر
صرخة استغاثة الابنَ المتصلة
وكقطيع يطارده ضار شرس،

تبددوا في كل الجهات–
الجلاد المسعور، الدموي القاسي،
يشهر فوقهم سيفه دائماً،
تركوا في الدماء بلادهم التعسة،
تركوا في اللهيب منازل أهلهم
لاحبيب ولا عزيز في بلاد الغربة النائية
الدرب الوحيد أمامهم الى الخمارة.

* * *

يغنون.. وأغنيتهم متوحشة
فالجراح تلتهم قلوباً جريحة
والشر يغرقهم في غليان مسعور
والدموع تضغط على الوجوه الشاحبة..
وتملأ المرارة القلوب المكتئبة
والنار في الرؤوس تجفف الادراك
والبرق يضيء في عيون دامية
والى الانتقام، والانتقام الدموي
تظمأ الأرواح.

* * *

وكأنما عاصفة الشتاء رجع صدى لهم،
تجأر وتتلوى مرعبة في الليل
تتقدم عصفاً، تعلو، لتنشر واسعاً
الأغنية المتمردة في العالم.
وتربد السماء بمزيد من الشر
ويزداد الليل البارد جهامة

وتغني الفصيلة بمزيد من الحرارة
وترجع العاصفة الصدى بقوة
لم يُسمع بمثلها .

* * *

إنهم يشربون ويغنون- بقايا دمار
شعب معذب كان دوماً شجاعاً
أبناءُ أُمٍ- أمَةٍ مروعة
وضحايا مأثرة مشهودة
بعيداً عن الوطن ، حفاة عراة
يتجمعون في مناطق غريبة في تشرد مُهلك
يشربون- السكر يُنسي الشتاء
ويغنون كما يكون الغناء خلل الدموع .

بنتشو سلافيكوف
(١٨٦٦- ١٩١٢)

الغجر

قرب ضفة نهر «ستروما» الهادىء
توقفت القافلة المتأخرة
فالغجر الجوالون
سيقيمون مخيماً هنا .

* * *

هاهم أولاء قد اضرموا نيراناً،
الظلال ترتعش حولهم .
وبعيداً في الحقل
لغط وضحك طلق .

* * *

الشعل تعارك الظلام
ضوء وظلام- ظلام وضوء،
يبرز هنا رأس أشعث
ويبرز هناك خيال رث .

* * *

وفي ناحية ينسحب متكاسلاً
قوس كمان ثم يلتوي بمهارة
وفي لحظة - يهب رقص نشيط صاخب

مثل عاصفة :
ينتصب ويترنح
يميل ويتلوى ويندفع
وهناك يجفل صوت وقع الأقدام
وكأنه الصدى يترجع تحت الأرض .

* * *

وبابتسامة راضية
ينظر المسنون المنتحون جانباً
وغلايين تبغهم تتلامع
في الظلام الذي حولهم

* * *

هم اليوم هنا ، وغداً يعلم الله
أين ستستند رؤوسهم
فعدم مبالاة المتشردين
يصنع درباً عالمياً سهلاً .

خريستوسميرننسكي
(١٨٩٨- ١٩٢٣)

قاطع الأحجار الصغير

قبعة زرقاء قاتمة وقميص حائل اللون
جسارة تتوقد في النظرات
دم قرمزي على الوجنة المكشوطة،
يسيل في خيط رفيع.

* * *

وقف أمام صخرة ضخمة متوعداً
يفتل المطرقة بمهارة
وتحت قبلات الفولاذ البارد
يتقد الحجر شرراً

* * *

وبعيداً، فوق القنن الصخرية
حيث يدخن ضباب صباحي
يدوّي الصدى ناشطاً
وقد حمله النسيم المجنح سريعاً

* * *

ضربة واثقة تتلو أخرى هائئة
ترد الصدى الغابات الغافية

وتتصدع الصخرة، تنشق وتنفرط
في شرارات كهرمانية

* * *

– هيه، أيّها الرفيق، ماذا حسمت بالمطرقة؟
بهذا الضجيج والشرر؟
– أنا؟ سأشق طريقاً هنا ياصديقي،
طريقاً جديدة في هذه الصخور الشامخة!

١٩٢٢

الزاڤيتا باغريانا
(١٨٩٣)

رادار

وهكذا يلوح في كمال المنطق
منحدر المصير المحتوم
هاهي ذي دورة معاكسة
تبدأ مثقلة بالأعوام
وبقدر ماتكون الدرجة الأخيرة دانية
يزداد مدى الدرب الذي خلفنا
ونعود بذكرياتنا متطلعين
إلى البداية التي لاتُرى .

* * *

وكثيراً ماتنبعث رؤى حية
من الماضي الشاحب ،
من أيام طفولتنا ،
من أيام شبابنا اللاهية .

* * *

وتلتمع فجأة في لحظة
حادثة منسية منذ زمن بعيد
أو لقاء لم يتم

أو كلمة لم تُلقط
أو صرخة خمدت
بلا توديع
وحتى الأحداث المصيرية
التي عبرتنا
من غير أن نتمعن فيها
باهمال الشباب العجيب.

* * *

وهانحن أولاء على غير انتظار
من خلال رادار نشيط
نكتشفها فجأة متجسدة فينا
فهي لم تتلاشَ
على الرغم من كونها مغمورة
بوحول الطمي
وعلى الرغم من تلفعها بالغيوم.
فهي، على الرغم من كل شيء،
تُملي، مثل بوصلة، مساراتنا
على الأرض وفي السماء.

* * *

هكذا أنتما الآن- ياأبي وأمي-
تجذبان ذاكرتي من غير أن أراكما..
ومثل قطبين متنافرين
لكنهما لاينفصلان

ويومضان بالشرر
وبكلمات انطفأت ولم تلفظ . . .
يبدو الآن أكثر وضوحاً
أنني أعرفكما أفضل
وأحبكما الآن أكثر .
وكثيراً مااكتشفكما
«باللقانون البيولوجي»
تتابعان الحياة فيَّ . . .
لكن هل أنتما متجسدان
تماماً؟

أسطورة شعرية للعبور

على مفترق دروب ناء
ذات مساء بعيد
سبكا مصيريهما
وتعاهدا على أن يكون
أحدهما للآخر
حتى الموت.
لكن الحياة،
ذلك الديدبان الصارم
باعدت دربيهما
فأضاء حبهما العابر
مثل نجمين مذنبيّن متباعدين.

* * *

من رأى عجباً في ذلك
أو من رأى جديداً، أو اسطورياً؟
ففي مختلف دروب الحياة-
في الأثير، على اليابسة، فوق الماء،
يتجاوز العابرون كل لحظة
بحزن أو فرح، أو مأساوية
(بأخطاء غير ارادية أو إرادية)
الناس، والأنباء، والتصرفات البشرية...

ومن غير افراط في العواطف،
من غير أكاذيب.
وعلى نقطتين مختلفتين من الأرض
عانيا قسوة أيامهما.
ثم تلاشت النار الخامدة،
الحية بين سطور الرسائل
متلفعة بالضباب..
حتى الرسائل ماعادت
تعبر الدروب الطوال الا نادراً.

❋ ❋ ❋

انخرطا في نسق صارم
من أيام لاتحصى، وأحداث وأعوام.
لكنهما في لقاءاتهما عبر الأفكار
بقيا شابين - هي وهو...
وجاء، ذات يوم، نعياهما
إنه الموت،
لم يعلم أحدهما بوفاة الآخر،
والتقيا في الأبدية.

صرخة

في هذه الغرفة الضيقة المعتمة الواطئة
أموت بجرحي الذي لايداوى :
كوني غير محبوبة ، ولا قريبة ،
غير منتظرة من أحد
ولامدعوة .

❊ ❊ ❊

أريد فقط ، فقط أن أحب
أنا ظمأى للنبيذ المشع المسكر
الذي يبعد عني الأفكار القاتمة :
بأنني سأمرّ على سواحلك من غير أن أحب .
أريد ، بسخاء ورغبة ، أن أعطي
ذلك الذي يتوقد ويخفق في صدري
وأن تتهادى صرخات ابتهاجي
مرنانة فوق ضيوفي الأعزاء .

❊ ❊ ❊

شبابي المتوقد المرواح
وروحي المغردة
وقلبي الحي النابض
ترفعني كالعاصفة
فوق العالم .

أيامي

طيري، مفرحة أو محزنة،
فارغة أو ممتلئة
طيري فأنا لن أحصيك
ياأيامي على هذه الأرض. .
أنت حمائم رمادية أو بيضاء
أفلتت من يدي
وطارت إلى مدى غير نهائي
وكأنها تسعى إلى هدفها الأسمى.

* * *

على أعناقك رسائل صغيرة
ربطتها بنفسي. . .
أقريب ودود سيأخذها؟
أم ستسقطين، قبل الأوان،
في منتصف الطريق
أم أن سهماً سيخترقك
وستقع أنظار الغرباء
على أشواقي ومسراتي الدنيوية.

* * *

طيري. . . فأنا لن أحصيك
ياأيامي على الأرض

أنت التي تفرين قلبي الخفاق
وتهربين، دائماً، من يديَّ
اللتين لاتملكان القدرة على ايقافك . .
كم تودان ذلك بقوة وعلى الفور
لكن الساعات تدهمهما وتتعبان.

نداء

أنا هنا حبيسة وراء ثلاثة أبواب
نافذتي مشبكة بالحديد
روحي عصفور في قفص
وقد ربيت على حب الشمس والمدى .

* * *

الانسام الربيعية تهب
وأسمع نداءات أصوات جلية
ستخمد شعلتي قبل أن تتوهج
وسيخيم الغبش الراكد .

* * *

حطّم الأقفال الصدئة
أهدني عبر الممرات المظلمة
فاجنحتي لم تحملني قط
إلى الآماد الرحبة

* * *

ستنبعث من أعماقي
أنغام الفرح المحيي
هاهو ذا صوتي الحبيس يعلو
من وراء هذه الأبواب الثلاثة
لقد أطلقت ندائي اللاهب
فهل تسمع؟

أرضي

إنحنِ نحو غروبك
يامسار يومي الطويل
صار بعيداً المرتقى والبرج
سيستكين طيراني الجسور
على الأرض .

❋ ❋ ❋

مثل ثمرة ناضجة
ارتشفتْ الندى والشمس
ستهوي مضيئاً
من قبة سمائك
ومن انطلاقك أيّها الشاعر
ياقلبي
وستنحلّ في ترابك
في مسقط رأسك .

❋ ❋ ❋

أما أنت فترتعشين
أمام شروقك الجّديد اليوم
وتهدل اليمامات
في ساعات غابتك
المضبوطة .

لا ، أنا لاأومن بالمعتقدات القديمة
فهن لسن شؤماً عليك
ولايحصين السنوات المتبقية حتى الموت ،
بل هن البشيرات بالربيع والحب .
ماذا أهديك بمقدم اليوم الجديد
في يوم اعتدالك الشمسي
أنا لاأحرث ولاأبذر ولاأحصد
أنا لاأغزل ولاأنسج ولاأبني
فالخبز الذي آكله
وثيابي التي ارتديها
وبيتي الدافىء
قد صنعتها لي
أيادٍ أخرى مباركة

* * *

أستطيع ، بقلبي ، فقط ،
أن أحبكِ حتى الموت
وأستطيع بصوتي
أن أغني لكِ في الأصباح مع الطيور
وأن أبادلكِ الأحاديث بلا كلل
وأن أحكي للعالم عنكِ
وأنت في ربيعكِ ياأرضي .

المنبّه

هو دائماً قرب رأسي
وكل صباح يقطع رنينه
حلماً جميلاً أو قبيحاً من أحلامي .
يوقظني على همومي اليومية
والعمل واللغو ،
على دوامة أيامنا الإنسانية
التي لامناص منها .

* * *

المنبه . . . كم أفرح به
حين يرن على يوم لقاء
وكم أمقته
حين تتعلق عيناك
فوق صفحته
كي تتأكد من أن لحظة الفراق
قد أزفت سريعاً .

* * *

المنبه يرن
يتكتك . . يحصي الثواني
التي لاتتكرر
والساعات والأيام

وكل تلك السنوات الضائعة
إلى الأبد . .
* * *
ومن ثم . . . رنين . . .
أستيقظ
وأرى في الخارج
غصناً مزهراً أو ثلجاً متكوماً
أو أوراقاً متطايرة
هو الخريف أيضاً
أسمع وراء الجدار
صرخة طفلية
فأحس تلك اللحظة
حراً أو قراً
وجوعاً وعطشاً
إذن– وُلِدَ نهارٌ جديد
إذن– هو نهار آخر
تُهداه حياتي
* * *
وذات صباح
بعد أيام بعيدة أو قريبة
سيرن منبهي ويرن
دون أن يشعل رنينه
بؤبؤيَّ المنطفئين

لينظر إلى الخارج.

* * *

وسيكون هناك

غصن مزهر، أوراق مذهبة، ثلج..

وسيترّجع، كل لحظة، وراء الجدار

وقع خطا

وصرخة طفل صاخب

وستظل الحياة تجري سريعاً

من غير توقف..

-١٩٦٧-

نيقولا فورنادجييف
(١٩٠٣ - ١٩٦٨)

عرس

-١-

آخ، تدوّي في السماء طبول ضخمة قاتمة
وتتوهج المروج، وعالياً فوقها،
مثل بقرات في الليل، مثل بقرات مغتسلة بالدم
تقبل غيوم عاصفة خطرة غامرة الآفاق بالغبار

* * *

وترجع السهوب الأصداء عميقاً ويرتل المرتلون
فثمة عرس عاصف يدوّي زوبعة فوق أرضنا.
لقد تزوجت متجهماً ياأماه! ورائي اللازورد
وأمامي الحريق، وأمامي أيضاً قدري.

* * *

أرفع يدي وأدعوكم بدن للخمر أرقش
ياأخوتي الذين لادرب لهم، ياأخوتي جرحى الصدور!
يوم الأحد هو يوم عرسي، تعالوا إليّ بالحزن
والغضب الرهيب للشتاءات القديمة المديدة.

* * *

مثل أبقار في الليل، مثل أبقار مغتسلة بالدم
تنهض فوق رؤوسنا غيوم ثقيلة وتنزلق متمهلة.

آخ، دوّي ياشتاءاتي، أيتها الطبول القاتمة والنارية.
يامصيري القاتم، ياعرسي، وياموتي الهانيء.

* * *

-٢-

يتوهج بعمق بريق بئر الليل العميقة القاتمة
وعميقاً تلتمع أضواء النجوم المتقطعة
وعميقاً عميقاً يدق الفرح القاتم في الأرض المشتعلة،
يدق عظام أسلافي الجامحين الهرمة.

* * *

وتشع أحجار سود مرحة في الغابات والمروج
وفوق الدرب يجعل القمر رحابة الغابات شاحبة،
وتتمايل أغصان الأدغال الغضة والقرمزية
في بريق غامض لصباحات عميقة وليدة.

* * *

أنا ماضٍ في طريقي لأدعوكم إلى العرس
أنتم ياأهلي، الموتى، وآبائي البعاد!
أين أنتم؟ لاأدري، لكن فلتنظروا
إلى الأرض مبتهجة ترفل
بأثواب الزهر بعد الليالي السود..

* * *

وأنا واثق، واثق من أنكم تباركونني اليوم.
ففي الصباح الباكر يتوقد الشباب في قلبي
وتتوهج المروج، وتتوهج الغابات وتغني.
في البريق الغامض للصباحات العميقة الوليدة.

ملادن إيسايف
(١٩٠٧)

عبق من الأرض

أعرف، في عصرنا
عصر الآلات، والتمرد والذكاء
سيطأ هذا الإنسان الجسور سريعاً
غبار النجوم . .

* * *

وبعد قرون
سيتضوع هنا ربيع أرضيّ
وستلتمع مدن
بأناس جدد
وبالقصور
والرفاهية .

* * *

لكن العالم حينذاك أيضاً
سيظمأ إلى ابتراد الأرض
وإلى صوت الجداجد البسيط
في الحقول الخضر .
سيظمأ في أيار

إلى الليالي الدافئة، والحقول المتضوعة بالبرسيم
وفي الأعلى - اللانهاية ذات النجوم

* * *

والأرض- هادئة مطمئنة
لكن حتى في قرن الآلات هذا
القرن القاسي الجهم،
قرن التواتر اللاسلكي
والنفوس الباردة برداً قطبياً
ستظل روحي القروية دائماً
تظمأ إلى أن تسمع في المذياع
كيف يصخب
الجودار،
والغابة
والحقول مساء..

١٩٣٦

لقاء ليلي

وهذا الليل
بظلامه الميت
يستقبلنا أصمَ
مثل فوهة مسدس
وهذا الشارع
ممتلىء بالماء
والوحل
والريح تضربه .

* * *

أسير مع رفيق .
وفي الظل
نلبث لحظة :
ثمة شبح انسان
يكمن لنا
مثل غانغستر
و - يخيل لي -
أن الموت
سيدوي تواً
من مسدسه .

* * *

وبدلاً من الدوي–
ألحان بيانو :
من النافذة المقابلة ،
إنها تعزف :
التي كانت حتى البارحة
أحب امرأة . .
ظلت للبارحة
آناي أنا

* * *

حتى البارحة– أجل
لأننا اليوم غرباء .
فلو في هذه اللحظة
ترّجع صوت اطلاق أصم
لن ترى من الضروري الآن
وهي مأخوذة بشوبان
أن تصيخ السمع
إلى الخارج .

* * *

أجل ، إنه لرهيب ،
أن تخوض ليلاً في الخارج–
والموت متربص
في كل زاوية . .
حقاً

لقد كذبت كثيراً
ولم تكن صحبتها لي
سوى كابوس في حلم .

* * *

لها غرفة بيضاء
وأزهار ،
والبيانو يستكشف
عالماً رائعاً
ونحن
الذين نهيم في الليل
غرباء عنها
كما هي غريبة عنا .

* * *

الآن
حين يعوي
الظلام
والبرد
والعاصفة
حتى شوبان
غريب عنا
لأن من الترف
في عصر العواصف
أن تنتشي

بالموسيقا الساحرة .

* * *

ماذا؟

هل أحزن

لأنها عادت

إلى العالم الذي أتت منه؟

لا!

هذه الليلة

أسير في الظلام

متجهاً إلى الأمام

نحو فوهات

المسدسات .

١٩٣٤

زيارة

طقطق المفتاح ودخل اليك ثلاثة :
الشمس
والحارس
وطفلة . .
– أبتاه!
قالت ابنتك الحبيبة منتحبة .
– أبتاه!
والتمعت دمعة في عينيها الصغيرتين .

* * *

تعانقك يدان صغيرتان وتداعبانك
تقبل ثمرتا فريز جبينك
ثمة في العالم من يحزن عليك
حين تعبر تخوم الحياة .

* * *

ويطقطق المفتاح من جديد– ويخرج الثلاثة
الشمس
والحارس
والطفلة .
وماتزال فوق جبينك
دمعة صغيرة–
مثل نجم صغير لامع .
١٩٤٢

سعادة

أن تعيش ،
أن تكون ،
أن تبدع
في أيام القلق
والصخب هذه
وأن تحس دمك يتقد
في عصرنا المشتعل -
فثمة سعادة في هذا المصير ،
ثمة شيء جدير ،
عظيم
تتدفق من أجله
قواك الرجولية
في البناء والنضال .

* * *

هذا القرن ،
أعرف
أنه سيتجاوب معنا
وسيتدفق فرح هادىء مقدس .
ايه ، ياأخلافنا ،
كم نحن سعداء

اليوم
في هجومنا!

* * *

وكل ذلك-
مكافأة وهدية-
لأننا نعيش قرناً ديناميا
نكره الموت بقوة
ومع الجمر
نحب الحياة بعمق.

١٩٣٥

نيكولا فابتساروف
(١٩٠٩- ١٩٤٢)

المعركة

المعركة شرسة لاهوادة فيها
والنضال، كما يقال، خليق بالملاحم.
اسقط . . . فيحتل آخر مكاني
وهذا كل مافي الأمر
وماذا تعني الأسماء هنا!

* * *

سأرمى بالرصاص . .
ثم . . .
سيعمل الدود عمله!
وهذا بسيط ومنطقي،
لكننا في العاصفة
سنكون دوماً معك
ياشعبي . .
فلقد احببناك.

يوم ٢٣/ ٧/ ١٩٤٢

فيسلين خانتشيف
(١٩١٩- ١٩٦٦)

أغنية
لهرمونيكا الفم

هرمونيكا الفم لاتغني
بل تتعذب وحيدة في الغرفة
فذاك الذي كان يعزف عليها
يضطجع في تراب السهل المجري

* * *

هذه الصافرة التي من النيكل
رفيقته الأولى، عادت وحدها
وبكت عليها الأم والزوجة
بدلاً من البكاء على الجندي

* * *

بكتا، ثم خبأتاها،
كي لايعزف عليها أحد،
فتتذكر الأم ابنها بهدوء
وتتذكر الزوجة زوجها الحبيب.

* * *

وهاهما تسمعان ذاهلتين . . .

من يعزف عليها على الشرفة!
لقد بعثت هرمونيكا الفم بمرح
صوت الرجل الميت

❊ ❊ ❊

اندفعتا معاً. فمن يعزف؟
من أين تأتي الأغنية؟
وهاهو ابنهما الطلائعي-
وهرمونيكا الأب بين شفتيه

❊ ❊ ❊

كان يعزف، وكانت قطعة النيكل
تتوقد كالشعلة بين راحتيه.
توقفت الأم، ولكنها لم تصرخ،
بل لقد ابتسمت من خلل الدموع.

❊ ❊ ❊

ثم ضمت بصمت ابنها الطلائعي
إلى قرب قلبها...
وقد أدركت
أن الجندي
قد رجع أخيراً
بابنه

ذكرى

أتذكر تلك المدينة المقفرة
ونلك الحديقة التي هشمها القصف
حيث جلس شاب وفتاة متعانقين
على صنوبرة مرمية، فوق هاوية سوداء.

* * *

ينظر إليها وتنظر إليه.
يبتسمان هانئين.. بلا كلمات.
لاأزهار حولهما،
وبدلاً من الطيور يغني الرصاص.

* * *

وبدلاً من الطيور نهدر أسراب الطائرات
ويدخن التراب حولهما محنقاً،
ويلبثان، غريبين عن الموت،
هانئين، لكونهما تلاقيا من جديد.

* * *

أقول صادقاً: أتذكرهما
وأفكر بنا نحن الاثنين ياحبيبتي
فهل ستكون لدينا في اللحظات العسيرة
تلك الثقة التي رأيتها؟

* * *

هل سنجلس هكذا،
قبالة الموت، في الدخان، في التراب الحار،
العيون باسمة، واليد في اليد
كما في ساعة لقائنا الأول؟

قصائد في أغلفة الطلقات

في أغلفة الطلقات قرب الأجندة المعبأة.
في المسير والصدامات العنيفة
نظمتك قصائد
ياكلماتي الفجة المولودة في القتال.

* * *

رقتي العسكريةوكراهيتي
كرستها لك واحدة فواحدة
ومالم أستطع قوله بالبارودة
أحاول قوله في قصيدي.

-١-

- المعذرة ياابنتي الصغيرة
المعذرة ياامرأتي!
فوسط الغبش يسير القطار متمهلاً
متجهاً غرباً الى الحرب.

* * *

تلمع على الممر البواريد
ويترجع حديث خشن
أواه، إن عيون الجنود تدمع
وذلك من الدخان، لاريب،

-٢-

تصفر في الظلام صليات الألمان .
ثم يسود الهدوء فجاءة
- إلى الأمام سر- وتسير الفصيلة
تحت مطر ايلول الجليدي .

❋ ❋ ❋

الألمان هناك في القرى المشتعلة .
ووراءنا وطننا الأم .
إنه الآن في الظلام مع الجنود
بسير صامتاً إلى الحرب .

-٣-

اعزف ياإيفان- تلك التي لنا!
اعزف ياايفان!
لقد خفّت أجنِدة الطلقات
والنار تشتعل .

❋ ❋ ❋

وعزف إيفان في الظلام
الجنود صامتون
ولم يمطنوا لبزوغ الفجر
وإلى أن الدرب ينتظرهم

-٤-

في سهل ستراتسين الحجري
في السكون الأزرق الشاهق

يستلقي جندي بخوذة رمادية،
يستلقي ديدبان صامت.

* * *

ترتعش النجوم فوقه سراعاً
يندِيه الندى في الصباح
أما السحب البيض
فتحل شعره المدمى.

-٥-

شال حريري أحمر
وجدته عند جفنة قرب الطريق
وتذكرت - أنت أيضاً
لديك شال كهذا، هناك عندنا...
هل ستلومينني
لأنني أخذت شالاً غريباً في الحرب؟
لقد وضعت الشال بحرص
تحت الخوذة المغبرة.

-٦-

سبعة أشخاص على تلعة بنية
ستة أحياء. السابع- قتيل.
حفر الستة قبره
وطمر السابع في الأرض.

* * *

ستة رفاق مع السابع الميت

جنز من غير كاهن وغير مخلّص
بدلاً من الصليب - بارودة على القبر .
فالميت هو أيضاً معهم في المحرس .

-٧-

تحت الشجرة الوحيدة
بفروعها الناجية
ارتعش الأسير المخفور برداً
الأسير الذي لانطاق معه .

* * *

انتزع الصليب المعقوف
من السترة بيده
اواه، لو يستطاع
إخفاء الإثم هكذا!

-٨-

نايدن منحن فوق الخندق
بين أصابعه السود- ساق عشبة .
نظر نحوي مسروراً
وهز رأسه حالماً . . .

* * *

«لقد أنهوا الحصاد ولاريب»-
قال نايدن . ثم عاد إلى الصمت .
ومن جديد وجهنا إلى البعيد
أنظارنا الحادة .

-٩-

في ستراتسين تحت الرابية الصخرية
زحف العدو وطوقنا .
ظل يدفعنا بالسلاح يومين
وقد ابقانا عطاشاً جياعاً
كان يخادعنا ويغوينا .
كي نليح بأيدينا بأي ثمن .

* * *

لكننا صمتنا لائذين بالأرض
بلا طلقات ، في الهواء الحار
لكننا صمتنا ، وقد أسندنا على التراب
أفواهنا الصابرة .
ولقد صمت رفاقنا الجرحى ،
وقد أمضهم ألم جراحهم البلغية ،
كي لا يسمع العدو منهم
أنيناً أو كلمة خوف .

* * *

واستلقينا- موتى ، وأحياء-
ملفوحين بالبارود ، صامتين
بلا حراك على الرابية العارية .
ولم يصمد العدو أمامنا .
لم يصمد ، بل فر مذعوراً
من صوتك ياصمتنا .

-١٠-

لقد أويتنا مثل أخت
ياغابة في مقدمة الجبهة
حميتنا من الحر ومنحتنا النوم
والأريج وتغريد الطيور.

❋ ❋ ❋

أما الآن فأنت غير موجودة
حرقك العدو صباح اليوم
وفي الرماد
تستلقي الطيور والأوراق صرعى.

❋ ❋ ❋

لاشجرة حولنا ولاشيجرة
كل شيء أحمر فاقع
وفوجنا يسير متجهماً
على الأعشاب السود.

❋ ❋ ❋

المعذرة أيتها الأخت الغابة
أيتها الملاذ الجيد!
إننا نسير عبر دخانك المتموج
كي ننتقم لك.

-١١-

ياشقراء الشعر، ياسمّاء الأنف
يازرقاء العينينياابنتي،

أنت نائمة . لاتعرفين ماهي
الصليات وكلمة هورا البغيضة .

* * *

تنامين بعيداً ياحلوتي!
تنامين في سكينة مهدهدة!
وأنا أسير إلى القتال عبر الغابة
كي أحمي طمأنينتك .

-١٢-

في حلقة من حوانيت بيع المشروبات
شربنا نبيذاً جيداً .
وعقدنا حول النار ديكتنا .

* * *

أرسلت النار الشرر على الأرض
ورقصت في الليل
وضجت الأرض كلها
تحت أقدامنا .

* * *

ترنحت الأرض الخرساء
تحت جزماتنا
وكان العدو يستمع إلينا ويستمع
ثم - خرس .

* * *

إيه ، فليستمع ، وليختبىء

متوفزاً حتى الصباح!
فهذه الرقصات المرحة
نذير شؤم له.

-١٣-

لقد مضت معنا نحو الجبهة
فاجتازت سهولاً وذراريّ
كي تلحق بابنها في مكان ما
بين الرمال الصفر قرب بتشينا.

* * *

كانت صامتة أول الأمر
ثم قاربتنا ذاهلة-
ترقع لنا، تغطينا بعناية
وتغسل لنا وتزجرنا بصوت أمومي

* * *

كيف استطاعت إخفاء عذابها؟
كيف لم تبك ولم تصبح حقوداً؟
لم تتكلم لكننا رأينا أنها
قد شابت أمام نظرنا على الدرب.

* * *

يتذكرها المقاتلون والقادة
في الليالي المظلمة وفي الاشتباكات القاسية.
لقد قتل ابنها وأتت لتبحث عنه
فوجدت الكثيرين من الأبناء.

-١٤-

لا ، لاأستطيع النوم . سأخرج إلى تحت السماء ،
حيث تضيء النجوم وتنفخ الريح المضطربة في بوقها .
أريد أن أكون هناك معك ، أن أقول لك
مالم أستطع أو مالم أتجاسر . . .

* * *

لم الاطفك ، ولم أغازلك ، ياحبيبتي .
فرّقنا الواجب . فلا تبكي ، ولاتلومي !
فأنا ماض إلى القتال مع الفجر
كي يكون ثمة حب وأحلام في المستقبل .

* * *

إذا سقطت صريعاً بين التلاع ، تحت النجوم الباردة ،
فتذكريني بالحسنى ، لكن لاتجهشي على قبري .
استقبلي الفرح الذي أُحرز بعذابي
وأحبي بدلاً مني ، واحلمي !

* * *

لن أغضب ، بل سأكون سعيداً مطمئناً
فلم أذهب إلى الحرب من أجل الألم ولامن أجل الدموع
لقد طلع الفجر عليَّ . وقد انخرط الرفاق في القتال .
طابت ليلتك يازوجتي العزيزة !

-١٥-

شكراً لك ياأماه
فأنت لم تنسي

حين ولدتني
أن تتركي مكاناً للكراهية
في صدري .

* * *

كيف سأحافظ على حبي ، ياأماه ،
قولي ، بأي قلب ،
إذا أمسكت يدي أخمص البارودة
بلا ضغينة في القتال؟

-١٦-

طلع الصباح . خمد اطلاق النار
توقفت الدبابة في ساحة مقفرة
أنزل السائق الشاب الخوذة
وعب الهواء العليل ملء رئتيه
ونسي الموت والقتال

* * *

وفوق الفتحة التي مازالت ساخنة
بدأ يكتب رسالة : «حبيبتي ،
سأعود ، لاتحزني عليَّ . . . »

* * *

لقد كتب ولم يرتعش فوق الأوراق
القلم المضغوط بين الأصابع .
- صدقيه أيتّها البعيدة المجهولة
سيعود ، سيعود حياً !

-١٧-

حان الوقت .
إنهض أيّها الجندي ، واستعد !
يقف القائد صارماً وهادئاً .
نظر الجمع إليه وفي لحظة
تجمعت قوى للخلود .

* * *

هاهوذا صاروخ - يلمع . وانتصب القائد
في الظلام طويلاً مضاء .
أشار إلى البعيد وأمر : «ورائي !»
واندفعنا مهاجمين .

* * *

وعبر الأرض البور ، بشفاه مسودة ،
ملفوحين بالهواء البارودي ،
مضينا والطلقات جاهزة رهن شعيرات التسديد
مضينا والضغينة في قلوبنا

* * *

-١٨-

كم منْ الوقت مضى على الدرب؟
كم من الأيام مشينا هكذا؟
إيه ، أنت تثقلين أيتها البارودة ،
في اليد الواهنة !

* * *

مسير، مسير . . . المطر يسوطنا .
على الوجوه- عرق أسود .
وفجأة- يلوح أمامنا كوخ .
وتتوقف فصيلة المشاة .

* * *

وقفتُ، حدقت في الظلام
دخان . وخلل الزجاج- ضوء .
صرّت بوابة . وقفزت
امرأة ضئيلة من نسائنا .
قبلّت جباهنا
وصارت تروح وتجيء
وهي تهمس، ونحن لانعرفها،
«ياأبنائي الأعزاء»

* * *

لا ، لاتثقلنا الطلقات
ولا الدرب الذي لاينتهي في الوحل
فأنت قمين من أجل هذه الكلمات
بأن تسير حتى آخر الكون .

-١٩-

في الحقل الذي أتت الحرب إليه
قبل لحظة الحراثة
يستلقي الجندي القتيل
وكأنه يتكلم مع أرضه .

* * *

إنه ميت لكن التراب دافىء .
ينسكب فيه الدم العسكري
هو ميت، لكنه يحرس ميتاً
الحقل الذي أنقذ من الأعداء .

-٢٠-

أيتها الحورات التي تطالعنا
وتنحني أمامنا .
فوق من، فوق من
تنوح أغصانكن غصناً غصناً .

* * *

تحت الأشجار الحزانى
سبعة أجساد ممددة .
فالسرية الارنؤطية السوداء
كانت هنا البارحة .

* * *

لاأحد هنا . القنن جرداء
الأفاريز في الدخان . والخواء .
وعلى الحورات الوحيدات
تحط أسراب تنعب بقبح .

* * *

والحورات في السماء
تتأرجحن، وتشرن باصرار
إلى هناك، هناك،

حيث اختبأ العدو صباحاً .

-٢١-

نسيت الملاطفات ايدينا الخشنة .
صار القلب حجراً
لكن لابأس .
فمن أجل أن نحب باطمئنان بعد القتال
نسير صارمين إلى الحرب .

-٢٢-

تنحني السماء فوقنا
مثل خيمة عسكرية .
الريح تصفر والأجفان تركض
جفنة جفنة وراء الفصيلة .

* * *

إلى القتال تمضي فصيلة المشاة
تخطو بصلابة .
فمن منا سوف يعود
إليك أيتها الحياة

* * *

كفى، لاتترفق ياقلب الجندي
في الصباح الرمادي !
فالقلب الرعديد
يكون الهدف الأول في القتال .

* * *

أحدهم يغني . تطير الأغنية
حانقةغاضبة ،
تمضي بعيداً فوق التلعة .
تحملها الريح المتوحشة .

-٢٣-

في كل مكان أرض مقفرة .
لاصليات نار ولاصوت .
لكنهم هنا . من هناسيمرون .
على هذا الدرب . قرب هذه الجفنة .

* * *

تدب سراياهم الخضر .
أتلمس الزناد البارد .
لست خائفاً . لست وحيداً .
ثمة رفيق وبارودة يترصدان قربي .

* * *

يستلقي الرفيق . لايتكلم .
يصيخ السمع الى الجهات الأربع .
سوف تعمل البارودة بلا عائق ،
لكنه لن يحل محلي .

-٢٤-

بالتساوي تقاسمنا التبغ والفراش ،
وبالتساوي - البارود والأحلام .
اطلاق بارودتك قرب بارودتي ،

وأنت تسير قربي .

* * *

يثقلني ويثقلك الجناد
بالتساوي أيها الرفيق المحبوب .
ولي ولك الحق في أن نتقاسم
النصر بالتساوي .

بلاغاديمتروفا
(١٩٢٢)

كاساندرا[1] لها ذيل

إنها قطة تتمدد
من أحد طرفي طفولتي
حتى الطرف الآخر.
شتاءً تتكور قرب المدفأة
تنسج غزل الدخان.
تضيء ليلاً بنصفي قمرٍ
زوايا البيت المظلمة.
ونهاراً تضع توقيعها على السماء
بذيلها الدوار
تصوغ الهواء برشاقة،
تتجمع في شعرها
كهرباء العاصفة
فتجعله ممسداً ناعماً.

* * *

---

(١) - كاساندرا: ابنة بريام ملك طروادة. أعطيت المقدرة على التنبؤ ولم يكن الناس يصدقونها. (المترحم).

منغلقة على ذاتها بكليّتها .
لكنها قفزت من هناك مرة .
وفي مساء هادىء رفعت
فجأة ذيلها- فرشاة منظف المداخن .
وارتمت على الشمعدان
بمواء سيارة اسعاف وحشي .
فكأنما كل الصواعق
التي في شعرها قد اجتمعت
وانفجرت في سعار صارخ .
لم يفهم أحد منا
نبوءة القطة .
هسهسنا لها كي تهدأ .
وكاد يهلكنا الزلزال .
وذهبت القطة المنجمة
إلى الأبد مع طفولتي .

* * *

لكن أعاجيبها
مستمرة إلى اليوم .
هذه الأمسية
تسللت إلى داخلي فجأة .
مستوفزة كلها بالبروق
واندفعت من جدار إلى جدار
صرت صرخة ثاقبة متقاذفة

اضرب برعونة في كل الجهات
لأصل إليكم، حيثما كنتم.
اسمعوا، بقي لكم بضع لحظات!
سريعاً، انقذوا ماتستطيعون-
الأهم، فطرتكم.
في الداخل، في رحم الأرض
ينضج انفجار نووي ما،
تُعدّه عقول الكترونية،
يحرضه نبض الإنسان الآلي.
هذا الكوكب الأخضر، المجنون
يطير أعمى في الظلام..
قريب هو.. قريب هو الزلزال.
لاأحد يفهمني! ميا... و- و- و!

قيم

استعد وحيدة للشيخوخة ،
رامية الأشياء الزائدة :
أشياء المظاهر ، والعادات والكلمات
التي سأقيد بها مساء .

* * *

أبقى باباً يطرق
أمام الأيام الصاخبة المتقلبة ،
ونافذة استضافت الغروب ،
واللانهاية بين أربعة جدران .

* * *

ولن تكفيني الأبدية كلها
لأن أتجرّع عذوبة
الأفكار الحرة المطمئنة
أمام الدوار الذي يتغلغل في العالم .

صوفيا ١٩٦٩

كلمتي

كلمتي وحيدة
مصوغة من شفتيَّ وحدهما
وليس من أية أشياء أخرى في العالم .

* * *

دائماً أنا جاهزة للولادة ،
حيث تلحقني الآلام ،
كمشاكس يطلق من الداخل الى الخارج .

* * *

أحمل في دمي ايقاعاً ،
وفي مشيتي نبرةً ،
تنظم نبضي .

* * *

أرتعش مستيقظة ليلاً
على طرق ملحاح-
من يتحفز كي يقفز مني ؟

* * *

اصرف بأسناني جاهدة
كي أبقي الثمار المبكرة
الى أن تدق ساعتها .

* * *

قد لا تدق أبداً،
وقد لا يكفيني التنفس.
لكنها تتكون رغماً عني.

* * *

كلمتي وحيدة
ستتحول إلى اشعاع،
بمقياس آخر- لكنها ستصل إليك.

صوفيا ١٩٦٨

المؤجرة

أحياناً تزورنا المؤجرة مساء
متعبة حتى الموت، تستريح من الهموم هنا.
تأتي إلينا من مملكة الغرفات البعيدة،
حيث تفوح رائحة الغسيل، والصابون والبصل.

* * *

لقد هرمت، تتهدم مع البيت.
لم أكن قد رأيت وجهها.
حين غسلت النوافذ كان الصفاء في عينيها
هادئاً مثل الصفاء الذي يسود في الزجاج.

* * *

تجلس لاهثة قبالتنا، رمادية من الهم.
ونشعركم نحن يافعين الآن.
وينتابنا شعور بالذنب لأن صبانا باد.
ويزحف الحزن، متمهلاً، من الزوايا الى الغرفة

* * *

تحكي المؤجرة متاعبها اليومية:
بائعو الحليب، البقالون، الهموم- موجة اثر موجة.
ونطرق وكأننا مذنبون
أمام هذه المرأة المعذبة بنثر اليومي.

* * *

ماهي علومنا، ماهي كتبنا؟
وهل تستطيع كل المكتبات في العالم
أن تحمل إلى الناس قليلاً من العزاء،
وأن تقدم هنا، قطرة من السكينة.

* * *

تحكي المؤجرة. نصمت ونصغي إليها.
يزحف حولنا ظلام المساء الكثيف.
على المنضدة مجلدات حكيمة تربض في الظلام،
وكأنها غير موجودة على هذه الأرض البشرية.

صوفيا ١٩٤٣

على العتبة

بددت حريتي الغالية في كل مكان–
في ساحات خانقة، وفي ظلال باردة.

* * *

لم أعط الحرية لإنسان واحد:
أماه، نسيتك في البيت الخانق.

* * *

وفي سنواتك المتعطشة والفتية
أعطيتني حريتك كلها.

* * *

كيف انتظرتني مساء بعينين متعبتين
كي تتعرفي مني على العالم المجهول.

* * *

وتصمتين في غيابي بكلمات مخنوقة
وتصمتين في حضوري كي تحافظي لي على السكينة.

* * *

ومن جديد قفزت إلى الخارج، إلى الفضاء.
وبحثت عن الحب: تحت النجوم الكثيفة،
ووسط النحيب المبرقش، وفي نداوة نيسان.

* * *

آخ، قولي لي بأي ثمن أستعيد

أيامك الرتيبة، ولياليِ قهرك؟

* * *

وتنظرين إليّ وديعة وتشع التجاعيد:

«يكفيني، ياابنتي، أن أعيش من خلالك!».

صوفيا ١٩٥٥

أضواء

في قعر بئر من الجبال
غمرني الليل على حين غرة.
أغوص في ظلمات جوفاء
كما في جحر بومة.

* * *

أخطو متلمسة..
أين طرف الهاوية،
لاأعرف غير أن-
البرودة الظليلة تهب منها.

* * *

أستطيع أن أصرخ، أن ألعن،
أن أغني بشجاعة في مواجهة الظلام
أمّا إذا بحثت عن الضوء-
فعليَّ أن أحترق..

* * *

لاأريد سوى
أن أحس ألماً مثل:
أتأجج غباراً وورائي
أعرف- أن النور سيبقى.

جبال الردوب ١٩٥٣

إلى الغد

- إلى الغد- تقولها وقد مضيت
وأودّعك بنظرة وجلى.
إلى الغد؟ لكنه بعيد إلى مالانهاية.
ألن تتمدد ساعات بيننا؟

* * *

إلى الغد فليكن مجهولاً عندي
الظل المتبدل على جبينك،
كلام اليد الدافىء، الراعش
للأفكار التي تنشأ سراً.

* * *

إلى الغد، إذا عطشت، لن أستطيع
أن أكون ينبوعك.. وإذا هب
عليك البرد- أن أكون النار.
وفي الظلام- أن أكون نورك

* * *

- إلى الغد- تقولها وتمضي، حتى
من غير أن تسمع جواباً مني.
- حتى اليوم الأخير! سأنتظر أن تقول
وأن تبقى معي حتى اليوم الأخير.

صوفيا ١٩٥٨

صرخة

متى ستأتي؟
حين أمضي
وتخمد آخر خطواتي
بعيداً؟
متى ستكون معي؟
حين تحيطك
وحدة المساء
بأربعة جدران؟

* * *

متى ستنظر إليَّ؟
حين أمر مشدودة
إلى كتف آخر
ونظري إلى الأرض؟
متى ستدعوني؟
حين سترى
أنك ضيعتني – بعيدة
وغريبة، ومجهولة؟

* * *

حبّني الآن
مادمت أحبّك!

مادمت لك،
اشتق إليَّ، نادني!
الآن مد يديك
مادمت سأركض!
فغدا سيكون متأخراً
وغير قابل للاصلاح.

صوفيا ١٩٥٩

ليلاً ونهاراً

مع الفجر، إذ أميز
الطرف الذائب في الشروق
الفكرة الأولى التي تراودني هي،
يجب ألاّ أفكر بك.

* * *

وطوال النهار تترصدني،
المخاتلة، حيثما ذهبت
ومهما فعلت أتذكر،
يجب ألاّ أفكر بك.

* * *

وحين يخيم الليل
ليأخذ كل وجع في النوم
لاأستطيع النوم وأفكر
يجب ألاّ أفكر بك.

بوروفتس ١٩٥٩

المنسي

هل المنسي منسي؟
أم أنك تنسى أنه لايمكن أن تُنسى؟
متى سيذكرك، فجأة،
أنه لايُنسى؟

* * *

وإذ يصل إليك ويضربك بصاعقة
من سماء النسيان الصافية
ستترمد من الذروة إلى الجذر
فهو الأخطر، لأنه كان منسياً؟

* * *

ستشفى، وتتداعى، وتسقط
لكن فيك شيء لايُنسى:
المنسي، الذي يجلب إليك كل شيء-
العالم وذاتك كي تنسى.

صوفيا ١٩٦٩

أطوار قمرية

حين أحببت أول مرة
ودُعيت «حبيبة»
فهمت كيف أن هذا قابل للجرح
وكيف أنه ينبغي أن أبقى جاهزة،
مترنحة فوق أمل.

* * *

حين كنت طفلة وحيدة
أُدعى من العتبة بقلق «يابنتي!»
فهمت كيف أن هذا جارح
وكيف أنه يجب أن تكون جاهزاً
كي لاتدمر أملاً...

* * *

حين صرت أنا أعتني
وأُنادى من المنام والطيران «ماما!»
فهمت كيف أن فوق المستطاع
أن تبقى ليلاً ونهاراً جاهزاً
كيف تعطي أملاً.

* * *

حين التفت نحوي انسان واقع
بنظرة مثل صرخة «اختاه!»

فهمت أية مغامرة،
كيف أنه يجب أن تبقى جاهزاً
لتدافع عن أمل .

* * *

الآن، وقد أكملت الأطوار
وأريد أن أُدعى «انساناً»
أفهم كيف أن الأصعب هو
كيف يجب أن تبقى طوال الحياة جاهزاً
وأن تخلق من ذاتك أملاً .

صوفيا ١٩٧٠

ريح الليل

السيارة تحملها الريح
على سواد الاسفلت .
والمصابيح تقطع الليل
بمقص إلى اثنين .

* * *

القمر عارٍ يرتعش ،
عبر الغيوم يركض معنا .
والريح تخطف الظلال
وترميها في عيوننا .

* * *

امضِ بي بسرعة جنونية
إلى هناك ، حيث تريد !
لاأرى دروباً سيئة
مادمت تجلس قربي .
الليل الذي لاقعر له
فتح أمامنا عتبته المضياف .

* * *

امضِ بي ، لاتنظر إلى الجهات !
وحيث تقف على الطريق
ستكون الراحة والفرح .

أما ريح الليل الحقود
فستعزف لنا نشيد زفاف
في أبواق المداخن
والسقف الغريب فوقنا
سيكون أحبّ من سقفنا .

فايمار ١٩٦١

ديمترميتوديف
(١٩٢٢)

مقاطع بلا عناوين

-١-

إنه كانون الثاني .
صوفيا غارقة في الضباب
إنه كانون الثاني
وأود الكتابة عن الصيف .

* * *

بحر من القمح ، مذهب بالذهب
خشخاش وسط حقل الحنطة
فتاة زرقاء العينين
بمنديل قرمزي
ترفع جرة منقشة
جرة
أنا جلبتها .
اشرب ، ياغنائي ،
ياتأملي !
انتهى الصيف . .
إنه كانون الثاني .

والنفوس تهيم في الضباب . . .

-٢-

«الى ناتاشا»

أحب أن أجلس هكذا-
معك .
وماذا يعني ،
أن يدك
لاتستلقي في يدي؟
اقرأي
وأنا أيضاً سأقرأ . . .

* * *

سعيد لأنك موجودة في العالم
لأنك تتنفسين هنا قربي
اقرأي

-٣-

آخ ، لاتنظري اليّ
أيتها العروس
سوداء الحاجبين
شاب أنا
ضعيف أنا
وأنا أعشق أخرى .
سنأثم!

* * *

الناس على صواب :
سنأثم، أيتها الحسناء
إيه، سنأثم !

* * *

-٤-

ياله من مطر مصحوب بالبرد !
انهضي لنمشي
لنعد إلى البيت،
كي نعانق آخرين . . .
و . . . نصمت . . .

-٥-

أحس بالبرد أحياناً
إلى حد الخوف .
أنت، أم أنا،
من تنهد بصوت مرتفع
أثناء الوحدة؟

* * *

هات المعاطف القديمة !
سنتجمد، أيتها العزيزة،
في هذه الغرفة الدافئة
التي دون نجوم . . .

* * *

هات معاطفنا الطالبية !

صلاة

الأذكياء يجمعون الثروات
الثروات لاتحتاج إلى الخبز والملح
الأذكياء يعيشون وحيدين.
أما أنا
فامنحني ياإلهي
الكثيرين من الأصدقاء والخبز والملح
وقلباً رحباً وأصابع سمحة
والقوة لزوجتي النشيطة،
وضعني، ياإلهي، على مفترق دروب
كي يدخل إلى عندي من يمر بي
ويشاركني مائدتي
ويأخذ شيئاً ما زوادة
وليكن في بيتي الكثير من:
«مبارك أنت!» ومن «هنيئاً!»

* * *

الزمن يهرب والأيام تنتظم
فاعطني ياإلهي، مع الرفق البشري-
أن أعطي كل ماأملك.
أما هناك-
في الأرض-
فسأعيش وحيداً.

بوجيدار بوجيلوف
(١٩٢٣)

إلى بطل مظلي

لقد قتل.
أطلقت عليه النار في المؤخرة.
كانت في يده قنبلة.
كم كان النهار قميئاً وضئيلاً
وكم،
كانت الأرض صغيرة- نسبة إليه.
قرب قلبه صورة
لفتاة ذات عينين
صافيتين ومسكرتي الزرقة،
ورسالة مدعوكة كتبت سريعاً
وقد خضبها الدم:
«لالزوم لرسائل الوداع هذه
النموذجية، المؤثرة، الجريئة.
ولكن حين توقعوا أن ننطلق
ليلاً
لأمر كهذا، فقد وجدت القوى
أنا الآخر...
الآن أمضي إلى مسقط رأسي

لأشعل بالديناميت حرية
أخواني المنتظرين مضطربين
في الليل
أن ألمس بالأمل وجوههم . .

* * *

سينتظرني العدو
ومع ذلك
ياحبيبتي
سأعود إلى الخلف
ويا أمي،
ان ابنك الشجاع الذي تنتظرينه
سترينه ذات مرة فوق القرية .
ومن هنا
ومن هناك
سيعتصر الحزن
قلبيكما
أعرف-
لكن فلتسامحاني .
أنا شاب، وقلق،
عشت سنوات
من أجل اللحظة
التي سأهبط فيها .
هذا قدري
أنا مناضل

والمناضلون يعيشون ليناضلوا
لاتتذكراني بالبكاء
بل غنيا
لمأثرتنا .
ليس لدي
ياحبيبتي
ماأبقيه لكما
بعد الموت .
لكن وطننا
وشعبي
لن ينسياكما

* * *

أرعا رأسيكما !
أنا جندي .
لاأعرف أكثر من ذلك
أرى أمامي
الأيام القادمة
وفي ذلك حلمي اللانهائي
إلى اللقاء .
كلا !
لاأستطيع الكذب .
فلاأقل لكما
الوداع !»

أحلام

أحدث نفسي في أغلب الأحيان
إذ أحلم مساء متعباً .
ستائر غرفتي البيض
ألفت سريّ المضحك .
صباحاً تتقد نار في الزجاج
فأطوف حول الأشجار الغافية .
هناك، حيث ينتظرني الواجب الصارم نفسه
فاعمل حتى العتمة، حتى الأعياء،
في سبيل آمالي وأحلامي الغالية .

* * *

ومساء أتحدث وحيداً مع نفسي
أرى نفسي اندفع صارخاً في الهجوم
أو في السجن أشنق أمام جدار شاهق
وأغني أغنيتنا في الظلام .
البارحة رأيت بجلاء
ظهر جبال البيرين المزرق
وفرقتنا الأجنبية
تعود مساء وهي تغني .

* * *

قد لاأطير مندفعاً في الهجوم

وقد لايشنقونني أبداً
ولاتبرق البارودة في الظلام
ولن أغني مرحاً في اسبانيا
بل سأعمل هنا أياماً طوالاً
فوق المنضدة ليشبع الناس .
وكأكثر الجنود عادية
سأقع وسط الغرفة منهكاً

* * *

دون نجوم ، دون أغنية ، دون انفجار .
ولكن ، هل يمنعني ذلك من أن أكون سعيداً؟

الغني

دون أي شيء كان على هذه الأرض-
دون بيت، دون حقل، دون أقارب .
يبرد، يجوع، ومع ذلك،
لم يطلب خبزاً من أحد أبداً .

* * *

لم يكن لديه شيء، فحينذاك
لم تكن لديهم بطاقات حزبية
يسير مأخوذاً بفكرة مفرحة
تحت مطر الليالي الباردة .

* * *

ما الذي أوجعه، لانعرف الآن-
لم يطلق نأمة أو كلمة، بل سقط مرمياً، وعانق الثلج
مطارداً بالرصاص الحقود .

* * *

في الربيع يبكيه المطر
وتحمل ريح الربيع غباره .
ليس فوقه صليب أو نجمة
لاشاهدة، لامقطع من أغنية .

* * *

لم يترك صورة أم أو أخ

ولا امرأة شابة- لتتذكره .
ماكان له حتى قبر . ومع ذلك هو غني .
يملك ثروات ضخمة .

* * *

المروج التي فيها غباره تزهر
الصخور التي مسها دمه تتألق
نحن اليوم
حتى أنت أيها القارىء المجهول
نحن جميعاً أهله .

للنمال

تعرفون القصة القديمة
قصة تلك النمال البطلة
التي تضرب المثال للإنسان
وسط الأدغال المظلمة.

* * *

تسير ملايين على درب
سعادتها الجديدة
وحين تصل إلى هاوية
فإن الألوف الأمامية-
تسقط...

* * *

أيتها النمال البطلة! اعذريني،
اسمحي لي أن أعلن:
أنني أعرف أبطالاً بشراً بالملايين
من هذا الطراز
يموتون منذ مئات السنين
بإيمان عارم
من أجل رفاقهم.

* * *

تلك هي البطولة!

بل وأكثر من ذلك!
ستمر البشرية غداً
فوق رفاتهم
وحين تصل
مع سيل من مليون حلم
فإن شمساً جميلة جديدة
ستتوهج من بريقهم
من إيمانهم القرمزي
وسيكون الزمن مضاء
بحبهم وكراهيتهم.

أورلين اورلينوف
(١٩٣١)

التم البري

مع الغروب وراء خط ناري
يسبح بجناحين كأنهما مشتعلان
طائر تم وحيد ورائع
ثم يمضي فوق المرج الصامت .

* * *

رفعت نظري ، وفي البريق المحتضر
رأيت التم يجذف طلقاً
وسمعت صراخه المنادي
كي تستيقظ سماء دوبروجا .

* * *

يذوب متمهلاً في السماء المقفرة
ويتجهم المرج الصامت ،
لكنني سأتذكر كيف التمع الغروب
وسوف استشعر عبق الجناحين القويين .

الحقول المضيّعة

في نومك المليء بالكوابيس
تلتمع الطفولة مثل غيمة بيضاء،
حين كنت مع الرفاق
تسير وراء غنماتك.
قرب القرية، تحت شجرة زان
تنبثق مياه بيضاء-
هل تذكر كيف تدندن:
إلى الحرية، إلى الحرية..

* * *

كنت نقياً مثل الماء
كنت فتيا مثل الماء
والآن تتجرجر في الضباب
وكل ليل جحيم لك.
كنت حمياً، كنت قويّاً
كان لك نضالك وأحلامك
وهاقد ذبلت عشبتك
أما عدت ذاك الذي كنت؟
تحت شبكة من التجعدات الكثيفة-
يكاد الشباب لايبين!
وهاأناذا ألاحق اليوم عينيك
إنهما قاتمتان خامدتان.

أنا أذكرهما ، وأعرفهما
حين استمع ساعات
وأنا شارد في ذهول
إلى قصائدك المستوية .
فيها مرج أخضر
وسموات عميقات زرقاوات
وتحمل ملهمة
صوت طيور طارت
ترتعش فيها أغنية حصادين ،
وتتضوع بعرقٍ ريفي . . .
آخ ، كم تحمل من الأفراح
إلى حياتنا الراكدة في صوفيا !
لكن ، ماذا حدث ، وماذا بقي
من ذلك الفتى الملهم
الذي جاء مع العاصفة والوعيد ،
والذي صار دون حميا؟
جاء مع أفكار كبيرة
كي يغترف الفن
وينهل الشعر بروح مثل سماء؟
لكن النبع يسير فيها
غير نقي من الأفكار المريضة
وصار العذاب مخيفاً ،
صراعاً مع الورقة البيضاء الفارغة !

* * *

والشعراء المبدعون
الذين ظمئت طفلاً
كي تراهم أحياء لافي الصور
هم الآن معك!
ينتظرونك بود
يحسنون الاستقبال ويرحبون بك
بزجاجة كونياك،
فما عدت خطراً، رعداً، شاعراً!
نلت كل شيء- الحب والشباب
مجلد من الشعر - ليس كذباً!
لكنك لاتحس ذلك الفرح
لاتستطيع ولايمكن
أن تسكب عقد الأيام
في سيل من نار وكدح وكفاح
مادامت موازنيننا
تصل باطمئنان إلى السعادة!

* * *

منذ زمن قديم كنا شباناً
ولستَ إلاّ في نومك الثقيل،
ترى الآن الحقول المتضوعة
وتسمع رنين جلجل صغير
وتدخل غرفة مألوفة
حيث مقعد مدرسي مقشر
وخريستو بوتيف على الجدار

مثل عملاق يحمل سيفاً :
وترى- فراشة صفراء
تخفق بجناحيها فوق زهرة بيضاء . . .
ومن ثم يوقظك
هدير ترامواي في ضباب حاد .

* * *

أنت قروي وتعرف ياأخي
تعرف أفضل منا-
تُقتلع من الثلم
فتذبل وتهلك وتتلف،
إذ صارت بعيدة عن التراب . . .
ثق بي ، أنا أودك-
فتلك أيضاً حال الأغنية!
فإذا لم ترمها الريح
ولم يطاوع الكلامُ البشري
وإذا لم يشتمها العدو
فلن تصير أغنية
ولن تصير سيفاً!

* * *

انهض يارفيقي . . استجمع قواك
افرد جناحيك واسعاً
وليغمرك ايمان جديد .
تنتظرك المروج القديمة
وشموس عباد الشمس

والأعشاب، والشروقات اللطيفة
وتنتظرك قلوب بشرية!

* * *

اذهب بين الناس من جديد!
كي تبرق وتغني
الكلمة المجبولة بالطين!
وعش، وعش!
فليتقد فيك ظمأ جديد
وليواسك المرج،
اذهب وانظر إلى مايولد الآن
في النفوس القروية!
وليكن الأمر عسيراً ومعقداً
واجه الحزن والفرح
وليكن من غير الممكن
ألاّ تكافح بالأغنية!
اذهب الى تحت شجرة الزان الوارفة
استمع إلى الحياه البيضاء
وهي تمور وتدندن:
إلى الحرية، إلى الحرية..

أسئلة

-١-

ما البحر؟ ما الأمواج؟
إذا لم يكن ثمة نظر محدّق إلى الأبعاد
إذا لم يكن ثمة أحد ينتظر بحب
عودة البحّار من إبحاره الطويل
إذا لم يكن ثمة إيمان وخوف وعذاب . . .
ما البحر؟ ما الأمواج؟
إذا لم يكن ثمة شاطىء وانسان على الشاطىء؟

-٢-

ما القمر؟ ما النجوم؟
إذا لم تلتمع ليلاً في أعين العاشقين،
إذا لم تنظر تلسكوبات الى العلاء الأزرق،
نحو الألغاز المختبئة في الدرادير الأزلية الاتقاد،
إذا لم تكن صرخة «انتصرت! اكتشفت!»
ما القمر؟ ما النجوم؟
إذا لم يوجد ظمأ للوصول إليها . . .

الأرض تصمت

تصمت الأرض مثلّجة، مطمورة.
حتى لتقول إنها ميتة
لكن تحت الموت الثلجي
حبة قمح
بعينين خضراوين مغمضتين
تشج بدأب
صلابة الأرض.

* * *

برد، ورياح، وراية.
طوق من جليد يزنر الأرض.
وهي
تصمت
وتلد.

الأم فلكانا

آرسلت الأم الصلبة فلكانا
أبناءها الثلاثة إلى الجبال .
عانقت ثلاثة أبناء عند العتبة
ولم يرجع أحد منهم إلى البيت .
نهرف العجائز «ياالهي ، ياللمسكينة ! »
لكن فلكانا لم تذرف دمعة .
سقط الابن الأول المرموق
سقط في القتال الأول عند دبنك .
القاه الشرطى كحزمة من القمح :
«كولتشو ، ولداه ، إصفرّ الحقل . »
وتهاوى الثاني تحت فيجن
وطمرته الريح بالثلج
«المهندس الزراعي ماتو . . . !
أوى إلى الأرض كحبة حنطة . »
وسقط الثالث – الدوري الرمادي
«زخارتشو ! خنصر والدته !
الورقة الأخيرة الأحب إلى الشجرة . »

* * *

سمع المقدّم كاراتشوروف
وجاء محتداً .
فكيف تبقى في منطقة «مطوقة بالمجد»

أم لم تبك .

«احمل الطبل أيها المنادي!

فليأت الجميع في الخامسة الى الساحة!

وأحضر أيّها المختار الذئبة

تحت الحراسة عبر القرية!»

* * *

فلكانا صامتة مثل صنم

«لاتنتهي الغابة

مع ثلاث شجرات من البلوط»

«أية أم أنت! أيتها البومة!»

«آسفة لأنهم لم يكونوا سوى ثلاثة!»

«سينعب البوم في بيتك!»

«ستلد أم أخرى الشجعان.»

«أليس لك قلب أيتها المرأة الشيطانية؟»

«إنه يضطجع في ثلاثة قبور.»

وضربها بالمسدس: «إبكي!»

بللي هاتين العينين الجافتين!

سأطلق عليك النار من غير محاكمة!»

«لماذا تتمهل؟ ينتظرني الدرب»

وارتجف المسدس. . . تهاوت الأم.

لم تذرف دمعة. لم تتأوه.

* * *

انهمر المطر، وتجهم الجبل

ثم بكى الأم فلكانا. .

جائزة

قال لي أحد الخبازين يوماً:
«أقضي الحياة كلها فوق المعجن
اخلط، أعجن، وأحمي الفرن
أخبز وحدي وأخرج الخبز
فماذا ستكون جائزتي
وأنا لست قائد فوج بل خباز...»
فكرت وأجبته:
«جائزتك، ياأخي ستكون صغيرة
سيأخذ عامل منجم خبزك
بعد وردية قاسية وسيقسمه
وسيقول ببساطة عمالية:
«مباركتان اليدان اللتان
خبزتاك لي أيها الخبز الشهي...»

سيرينادا قمرية

مطر من نجوم
وضوء قمر
يسقط فوق العالم
فوق الأسطحة
ولايني يعزف
ولايني يغني
أحد مامجهول
سيرينادا قمرية .

*   *   *

وغداً
لن نكون هاهنا
وسوف يسقط
مطر من نجوم
وضوء قمر
وسوف يعزف
وسوف يغني
أحد ما مجهول
سيرينادا قمرية .

بعيداً عنك

بعيداً عنك– ترسل شجرة الحور حفيفها من أجلك
بعيداَ عنك – يهمس النسيم باسمك ،
بعيداً عنك – تبحث النجوم عنك ،
بعيداً عنك– يسأل المطر عنك
ولا أستطيع أن أقول له شيئاً .

الهاتف الصامت

منذ أسبوع كامل والسماعة صامتة
أحياناً يتكلم الهاتف المقفل
بصمته أكثر .

* * *

لماذا اخترتِ مثل هذه اللغة
أيتها الحبيبة

داميان بيتروف داميانوف
(١٩٣٥)

أيار

هو ذا أجمل الأوقات!
الكون يعتم مظللاً بالأوراق
وعبر العشب والأغصان
تخضرّ أفكاري كلها
وأحس نسغها الحي
يندفع عبري بجنون
وكالعشب أصبح أعلى
وكالورد أتبرعم
فهل سأنعقد ثمراً كالشجر؟
ألن أذبل في الشمس؟
آه.. ليكن.. ويكفيني
في حياة واحدة
في لحظة واحدة
أن أتسربل بكل الروعة
هذه اللحظة
التي صرت فيها ساق عشبة،
غصناً، زهرة، وهواء
أزرق، وأرى..

* * *

مايطفف من هذه الروعة
أنني كأيار، جئت لأرحل
إلى أو في العالم
لكن سيبقى شيء مني :
سماء ذات لون بهيج شفاف
ووريقة كالأسى خضراء .

من وحي مطر حزيران

إلى ديمترتسينوف

كومة قش لها رائحة الطفولة
وعتمة فيها يتسكع المشرد
وفتاة اختفت
ثم عادت فجاءة . .
أهي ذكرى حلم أم أغنية
لايزال أحدهم يغنيها في أعماقي
أم هو الحزن الذي يسيل
من عيني مع هذا المطر؟

* * *

لاأعرف كنهها، لكنها رائعة
رائع أن يكون في هذا العصر المسرع
في هذا العصر البارد، شهر حزيران،
أجل حزيران بمطره المنقذ
المطر حامل البرسيم الذي له
رائحة الطفولة،
والعتمة، والضحكات والدموع
والشفاه التي تُقبّل سريعاً
فتعود إلى نفسك دفعة واحدة.

* * *

أحقاً بكى شبّاكي الليلة الماضية؟
العشب في الخارج لايزال أخضر
والشجر والناس أكثر طزاجة
بعد هذه الليلة الجميلة الماطرة .

* * *

عند المنعطف صبية تنتظر
أعلم أنها لاتنتظرني بل تنتظر صديقها
هاهي ذي تسرع نحو العشب الأخضر
الذي لم يستحل بعد
إلى كومة من القش .

استهلال

كنت طفلاً، لاريب
قالت لي ذلك صوري حين كبرت
ثم راحت تنظر إلى وجهي
فلا تجد شيئاً من الطفولة.

* * *

كنت فتى، لاريب
ولاتزال تتراءى لذاكرتي
وفرة مجنونة
مليئة بالقش وبنجوم الليل.
كنت فتى، لاريب!
اختفى الكل
في مكان ما
في العشب، في الثلج
في مكان ما...
في الأيام القريبة والبعيدة
كنتُ آمل.... لاريب.

* * *

اليوم، في دقائق باردة
تساقط القش عن رأسي
وسقطت نجوم أفكاري
بخرّني الدفء والخوف،

مشيت عبر العالم
عانيت وعشقت،
كنت طفلاً، فتى، كنت كلَّ شيء
ضحكت، بكيت... كنت شاباً وجميلاً
مشيت دروبي بحمية
هبت عليَّ الرياح كثيراً
تقاسمتني الأشياء كلها.
أنظر أحياناً إلى صوري
أريد التعرّف على نفسي فيها،
لكن عبثاً... فكما في العالم الرحب
هناك يتجمع الأسى والحب والضحك
ووجوه لاتُحصى
يغطيها الغبار،
كلها مني
وكلّها لم تترك أثراً
ولاذكرى.

الوالدان

أراهما في زحمة الأسواق الصاخبة
ليس لهما طفل بعد
لكنهما يبحثان عن سرير .
الطفل لم يولد بعد . . .
لكن تحت الفستان الأحمر
وفي الارتجاج الأمومي أراه
إنه يصيح «آت أنا . . .
أنا آتٍ . . . ها أنا ذا . . .
أعدّوا سريري !
الأجمل من الأسرّة كلها . .
أنا العصفورة السحرية
التي ستمتعكم غداً
بالأغاني ، بالآمال ، بالشباب
بالحقول التي تزهر
أعدّوا سمائي . . ! »

* * *

أراهما جلياً
إنهما لايزالان يتقدان
في ذاكرتي حتى اليوم
يضطربان وهما يختاران السرير

السرير الصغير الذي
سيضم أحد الكواكب
عالم واحد- حلم وظمأ-
يولد كل لحظة.

أسى- ١٩٥٥

علّية . . رمادية عارية
متسلقة قمة المدينة
شباكها فوق شجرة حور
وفوق شجرة الحور . . . نجمة
ولاشيء آخر . . لاشيء آخر .

* * *

اختفت شجرة الحور في الخارج
واصطبغت السماء بلون بنفسجي
وشحبت النجمة من السهر .

* * *

أغمضت عينيّ ثم عدت الى هذا العالم
إلى هذه الزاوية القريبة من منزلي
الأزهار تنمو والنجوم تتوقد
وثمة آلاف البنفسجات ،
والكثير الكثير من النجوم
وأشياء أُخر ، وأشياء أخر
لم تكن معروفة قبلاً . . .
تستيقظ العلية والألم الصامت
مع الفجر
النجمة لم تعد فوق شجرة الحور
آه . . .

لقد توقدت طوال الليل
أوجعتني أشعتها
واتجهت نحوي
وإلى وسادتي البيضاء
وصلت مثل دمعة .

غنى

أرج الأوراق الميتة
والكستناء المشوية .
كم لي من الأشياء
في هذه الأيام الخريفية !

* * *

إنني غني
حتى لأحتقر الذهب
فأنا أستطيع أن أشتري
العالم كله بأموالي . . .

* * *

يومي مضاء بهذه الزرقة المريحة
والنساء جميعاً بابتساماتهن لي .
البيوت كلها ، السيارات ،
دور السينما والمقاهي
كلها لي اليوم .
أليس كذلك؟
أجل ، إنها لي . .
لكن النساء المغرورات ،
بنظرات باردة
يتزاحمن حولي
بسياراتهن مع أزواجهن

وهناك وراء الستائر
يجتمعون سعداء
وأبقى وحيداً
أنا الأكثر حياة بين الأحياء

* * *

وأسير عبر العالم
شارة مضيئة للغباء
تهمس الأوراق الذهبية
فاضغط فرحاً
على جبيني.

على الدرب

أجنحة انفجارية ملهمة . . .
ويسافر جسدي الحي . .
لاحماقة أكبر من أن يخفق . .
آه، أيّها الدرب العذب!
أنت تسري في دمي كالخمرة،
كشبق الحب . . . كالسعار،
هاهي ذي آلتي تجمح
هي قلب، وفكرة، هي أنا
أسرع، أسرع
لاوقت لديَّ
سيغرب يومي القصير،
وفي لحظة
سينتهي الدوار العذب
وستنطفىء الشمس فوقي
وستغرق هذه الأرض
التي أرجحتني
بأرجوحة خضراء
وستبتلع الهاوية الجبال
ستصير الحقول الذهبية ظلاماً
سيختفي كل سرور . . .
وحدها العربة المعدنية

ستبقى لتطير
وأنا لست فيها،
فوق القمم الشاهقة
وفوق السهوب.
سيصعد أناس وينزلون
وستهب الرياح
على جنبات الدروب...
قميصي الأبيض المغسول
وحده لن يخفق
مثل غيمة بيضاء.
وحدي
بنظرات حزينة قاتمة
سأمد يديّ نحو العالم
سأتمدد
حاضناً ذلك الدريب
الذي مزق
عجلاتي
وقلبي..

أغنية ربيعية

شيء كوبالتي أزرق
يشتعل متوهجاً فوقي
ويهب عبر جسدي
نسيم أخضر.
اعشتني السماء بتوهجها
ارجحتني الأرض بأول الخضرة
وراحت تبحث عني بهوائها الدافىء
لترمي ثلجي
لتحطم الجليد فيَّ
لتدفئني بشمس جديدة
لأشعر أنني مثل زهرة
بأنني لاأزال أحيا
بأنني لاأزال أحيا
وبأنني غير متناه
تحت الآفاق المتناهية
وبأن جذري الخالد
ينتظر الزهر
ينتظر الثمر
وبأنه ليس عبثاً يرعش رأسي
الجليد والبرد..
ولئن صرت أكثر بياضاً
فهذا لايعني أنني هرمت
إنما هو زهر الكرز الأحمر

رغبة

ليأتِ بعد ظهر السبت
لتأتِ نهاية شهر نيسان
مثل بالون كروي شفاف
لتشع السماء بزرقة محببة
وليعبق النهار حولي
بعبير المطر الطازج والعشب
فلسوف أسير واستنشق
عبيره الفواح .

* * *

سأخرج من العمل
وسيسكرني الفرح
لكوني لم أمضِ أيامي الستة عبثاً
لكوني فعلت شيئاً مفيداً
وإنه لقليل على العالم
الذي أخدمه بشرف
أن يمنحني الاستراحة
وعذوبة هذا الوقت
من بعد ظهر هذا السبت
هذه المتعة البسيطة
سأحمل الحب في قلبي
والسماء في عينيَّ

كي أستطيع أن أفهم ببساطة ،
رغم التعقيد المصيري ،
أن الأفضل
هو أن تكون حياتي
لحظة واحدة
على أن تكون جميلة كجوهرها .

* * *

نوافذ

لم تكن واحدة ولا اثنتين
لم تكن واسعة جداً ولا ضيقة جداً،
لم تكن مغطاة بالمطر ولا بالعشب
لا بالأقمشة الفاخرة ولا بجريدة
لقد حملتها في نفسي
نوافذ غرفتي
التي نظرت منها إلى الأمام
إلى النهاية وإلى اللانهاية
تطل على الأمس
على الحقول والحدائق
ولقد سافرت إلى العالم عبرها
بنافذة واحدة
وفي بعض يوم
بسماء واحدة
بنهر وقرية
أبدلت الفجر بالعتمة
والغابة بحديقة الفندق . .
النوافذ . . . !
في المطر، في الغبار
في الأيام المضاءة

وفي القهر
أرنو وأتوق إليها
حتى تحولْتُ إلى نافذة .

* * *

أيّها الناس!
حين اضطجع
في برودة العتمة الأبدية
ضعوا فوقي نافذة
بدلاً من الصليب أو النجمة .

فلاديمير باشف
(١٩٣٥- ١٩٦٧)

السمفونية الثامنة

إلى د. شوستاكوفيتش

في دائرة هائلة مهلكة
تنشّد القلوب والمدن الخاوية
مثل وتر القوس
وأجيء
بطنين الهوائيات الليلية
بعويل صافرات الانذار المجنونة
بأوجاع الأوردة المقطوعة
متعثراً بقبور اخواني
صارخاً صراخاً غريباً
صراخاً شيطانياً
وقد غُرزتْ بي حربة حتى القلب
ومر فوقي جنزير دبابة
ومزقني ظل الصليب المعقوف
القاتل
اواه، الحرب، الحرب!
أيتها الإنسانية

قولي لي كيف صار ذلك ممكناً؟
قولي لي كيف سمحتِ
لماذا رضيت؟
أنا انسان
وسوف أصمد!
لن استلقي
سأتابع المسير
عاضاً على شفتي،
عاصباً بالقماش
جراحي الدامية
ومستبدلاً أعضائي الحية
بأعضاء صناعية

* * *

أيتها الإنسانية!
الأبواق تدوي
والطبول تقرع
وتتقدم أفواج العدالة
وتنصهر تحت هذه المسيرة العصرية
السيوف وأوراق السنديان
والاتجاه الأزلي شرق- غرب
ويلوح لنا الفجر من جديد.

* * *

إنه يمضي مسرعاً
عبر شباك الأسلاك

وعبر الحقول والغابات المسودة
وعبر البيوت والأعشاش المفحمة
ليضيء العالم كله
بزهور خزاماه المسعدة.

* * *

وهاهو ذا العالم يولد مثل أغنية جبلية
سليماً من الهول مطهراً من الفوضى

* * *

الأشجار تغرق بالألوان
ويميل كل غصن
مستكيناً لثماره
وإن هذا لعزاء
وإنه لأمل.

عشرون عاماً

يطير الزمن فلا يطال
والزمن لايعرف درباً ولامعبراً
ثمة شيء بسيط وعظيم
في مسيره الذي لايُرَدّ
إذ يسحبنا معه
في هذا المنحدر الزلق المرن
وهو يعدو مجنحاً
وتندى عيوننا وهي تلتفت إلى الوراء
المدمر خلف الحواجز الخشبية
حيث كانت طفولتنا فتى حافياً
يتسلل من دار إلى دار
ويطوف من الظلام حتى الظلام
عابراً آلاف الوهاد
ينام على الهشيم، ينام تحت النجوم
ويقاسي آلاف المرات الحب والكراهية
يشكو حباً ويضنى ألماً
ذلك الذي قرع آلاف الأبواب
وفتح آلاف الأبواب
وهاهو ذا في العشرين من عمره
في خندق

نزل إليه ليؤدي واجبه .

* * *

أيها الزمن ، أيها الزمن ! كم نحن مشغولون!
هاأنا ذا مدين لك من جديد
فقد جعلني تفويمك أتذكر
أن لهذا الفتى عيد مولد .
وهاهو ذا يجمع رفاقه
فوق التحصين الذي نما عليه الطحلب .
وتلتمع عشرون سيجارة
بنفس دافىء خفي
لكن هاهما صاروخان يلمعان بغتة
على انخفاض فوق رؤوسنا
وتطفأ السجائر فوراً
وترمى فوق العشب الرطب .
ويعدو الفتى بعد قليل في حقول القمح
وبارودته في يده-
لقد أدركه العام الحادي والعشرون
وهو يقاتل في الليل . . .
وهاهي ذي وراءه
حيث الظلام اللطيف
تتبعثر نجومه الفضية
ويدوّي عشرون هجوماً ،
عشرون خندقاً عُبرت .

رسالة

«هل تحبني . . لاأسمع . .
إرفع صوتك . . لاأسمع شيئاً»
(من حديث على الهاتف)

وأنا أيضاً لاأسمعك جيداً
ياصغيرتي اللطيفة . . .
ففي السماعة الخربة
بحر من الأمواج الغاضبة
والرياح المضطربة
تجوب الأرجاء
باحثة عن شطآنها .

* * *

وبدلاً منك
اخبرني رجل ملحاح
كم يتوقعون أن ينتجوا
من الجودار والقمح
ورجوته أن يصمت
فسكن ،
وختم الحديث قائلاً :
حسناً ، سنتكلم في تموز -
وفي تلك اللحظة

دخلت الخط مدينة بورغاز
سائلة عن الأسمنت
وقالت إنها ستدع الخط لحظة
اكراماً لنا
وطلبت مدينة بلوفديف السيارات
وتورنوفو الفولاذ
وخاصمني بعض عمال الحدائق
بشأن الزهور
وبما لايُطاق
كان عليَّ أن أتحدث
أمام العالم
عن حبي .
وصرخت
بكل قواي
وبكل توقي الجنوبي
أتسمعين ياعزيزتي
عزيزتي
إن حبك ضروري لي!

* * *

أخضعتْ صيحتي البحر وروّضته
وخاطبت روسه فارنا
- إن الفتى على صواب
وساد السكون
وهاهو ذا صوتك

يرن بأذني
قاطعاً الكيلو مترات
وأحسست
أن الحب الأبدي
أسير آلاف الأسلاك والمنازل
قد تحوّل
من سر صغير بيننا
إلى فرح شامل للجميع .

تأملات

إلى نيقولا إينجوف

لماذا ولدنا
إن لم يكن لدينا مانمنحه للعالم!
نحن لانطلب المجد
ولامصير الأجناس العظمى
كل مايلزمنا
لطف تلك المرأة الصغيرة المجهولة
التي حاكت سحر أرضنا بالابرة،
أن تكون لنا الموهبة الثمينة
التي أنارت ذلك الصائغ الرائع
الذي كان أول من انحنى
فوق خشب الجميز
فإذا الشجرة تصير أغنية.
نحن لانطلب المجد
ولامصير الأجناس العظمى
يكفينا شكر جيل واحد
ويلزمنا فقط أن نملك يداً ماهرة
مثل كولو فيتشيت
كي نجعل الحجارة الصامتة
تثير حنين القلب

يلزمنا فقط جناحان جباران
كذينك اللذين كانا للمعلم مانولا
لننطلق أسرع من الصوت
وأشد جسارة من الصقر

* * *

نحن لانريد المجد
يكفينا شكر جيل واحد
فلتكن لنا أمنية جريئة
ولنلتحم بالإبداع
لنكن غابة في وجه ريح الجفاف
لنكن مطراً لحقول القمح
ولتشف لمسات أناملنا
المرض العضال
لنروض بأيدينا الذرات
حتى تصبح كحبات القمح
نزرعها فتنمو
وتمنحنا مليارات الشموس
لتكن لنا أمنية جريئة
ولنلتحم بالإبداع
كي يكون لنا الحق
في أن نرقد في التراب
الذي ترقد فيه
أجناس كثيرة.

أمام المقطورة

عسير فراق الأم دائماً
هاهي ذي تقف أمامي صامتة
السماء تمطر
وتنزلق الدموع
وتمتزج بالمطر فوق الوجنتين .

* * *

وحتى في هذه الساعة الأخيرة
تريد أن توهمني
بأنها لاتبكي
وأنها لاترى كيف أبكي

ظمأ

تعارفنا
مذ كان الناس يدعوننا «طفلين»
ومانزال نحمل في قلبينا
شيئاً من قلبي طفولتنا .

* * *

وحين يغمرنا القمح الطري
يتململ فينا الظمأ وتطغى علينا
غوايات الدروب المقفرة
فننطلق عبر أرضنا . .

* * *

النجوم تنتثر والضباب الساخن
في ثنايا مروج القرى
ويمتد في الأعلى درب المجرة
كيد ضخمة مليحة

* * *

سر على الطريق
تغني الرياح بإغراء
سر . . . سر . . .
تدعوني الحقول
سنسافر أيضاً . . .
وكم من الكيلو مترات

تمتد بين طفولتنا
وبين هذه الليلة!

* * *

سرنا طوال أيام شبابنا
وسنبقى طوال الحياة نسير . .
أمثالنا لايتعبون إلا
حين يتوقفون طويلاً
ومهما سرنا تاركين
آثار أقدامنا على الدروب
فسوف تبقى ممرات كثيرة غير مطروقة
وستبقى أحلام كثيرة غير محققة.

* * *

وحين يغمرنا القمح الطري
سيدعونا الظمأ إلى المأثرة
وستغرينا دروب النجوم
بالطواف عبر عوالم أخرى.

ألفا كيلو متر

الشاعر المستعرب البلغاري
الشاب بوريس جوغوف

كأن ملايين النجوم قد هلكت منذئذ .
كأن ذكرياتي ذريرة من المرق البدئي
لكن شعوري سيبقى في عروقي
مثل عسل مع الجوز والهيل والليمون .

* * *

الصيف . الحديقة . . . كنا فتية سعداء
عشقنا وعُشقنا
قبّلنا وقُبّلنا
كتبنا الأشعارالسذاجة
وتلونا الأشعار
ومع أسرار الليالي تبادلنا الحب
ومن ثم
داهمنا الوقت
مثل ريح تحمل الرمل
من كثيب إلى كثيب في الصحراء .
من غير أن نجد جواباً لكل هذه الأسئلة
الخادعة لسراب واحة من البريق . .
وهكذا

تحولت حياتنا إلى ساعة جدارية تتك
وأحياناً
في رنينها عند الساعة المستديرة
نتذكر دموعنا القديمة
عشقنا
وعذاباتنا
التي تُبعث
تتفتح
وتنطفىء فينا .
ألفا كيلو متر
المسافات حروف مكتوبة بقلم رصاص
بريته منذ زمن بعيد
بأشعاري .

* * *

الفا كيلو متر
وهنا وهناك لي منزل
هناك أكتب الأشعار في الحديقة
أمام ن . د . ك .
وهنا أتملّى الشاهدات القديمة
في أزقة دمشق العتيقة

* * *

ألفا كيلو متر
ألم تكن زنوبيا
جدة ، جدة ، جدتي . . ؟

* * *

ألفا كيلو متر
لاأهمية للمسافة
مادامت تولد في قلب واحد:
الأشعار والقصائد.

* * *

على مهل، لكن من غير تراجع
شرع الجنرال برد يهاجم مواقعنا
الحبيبات من الرياح ومن القطرات الصغيرة
والكبيرة فالأكبر، تضرب أسوار أجسادنا.
كان ذلك اشارة إلى أنهم منذ زمن
ينتظرون عودتي،
بل هم يلومونني لأنني تأخرت
ذاهلاً في تقفية السموات
والنجوم، والجبال والأنهار.
ولهذا، أضع مشاعري في حقائب الأوراق
وأشد حوائجي للسفر في الزمن
سريعاً جداً سأطلق جوادي.
سألت المطر:
كم يساوي صدقك؟
وماذا في أن روحك شفافة كالماء.
أنت تأتي لتغسل خطايانا الخفية.
وخفية تعلنها، ياعميل الشيطان.
أعرف. . تكوّم فاعلية عمل ما،
مسؤولية ما،

لكنك لاتجري حساباتك جيداً ياصديقي . .

* * *

سيأخذ الشتاء السلطة قريباً
وسيبقى منك الثلج والجليد والسكون الميت .
المياه تقرقر
وتجري من عينيّ الجبل
من حيثُ ينبع
نهر أشواقي ومخاوفي .
خضت كي أعبره
مضيت
فتبين أنه عميق جداً
غصت
حتى غرقت .
أما أنتم فقد تدهشون ،
كيف أكتب الشعر وأنا غريق !
إنه سر حوكِ القصائد .
الشعر هو الذي بذرتُ فيه روحي ،
لن يُعجبَ كلَّ واحدٍ
أعرف ذلك جيداً ،
لكن قصائدي معبد للاعتراف والبركة
ولهذا ، فأنا سعيد بهذا المصير .

دمشق في ٢٤/ ١١/ ١٩٩٥

الفهـــرس

٢٠٠٠ ط١/٤/١٩٩٩